د. محمّد شحرور

دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم

المنهج والمصطلحات





الدكتور محمّد شحرور

دليل القراءة المعاصرة للتّنزيل الحكيم

المنهج والمصطلحات





دليل القراءة المعاصرة
للتّنزيل الحكيم



صدر للمؤلف عن دار الساقي:

- الإسلام والإيمان: منظومة القيم
- الدين والسلطة: قراءة معاصرة للحاكمية
- السنّة الرسولية والسنّة النبوية
- القصص القرآني: مدخل إلى القصص وقصة آدم (المجلد الأول)
- القصص القرآني: من نوح إلى يوسف (المجلد الثاني)
- الكتاب والقرآن: رؤية جديدة
- أمّ الكتاب وتفصيلها: قراءة معاصرة في الحاكمية الإنسانية
- فقه المرأة: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي

تصميم الغلاف: سومر كوكبي




مكتبة
الفكر الجديد

الطبعة الأولى 2016

ISBN 978-6-14425-926-9

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033—6114
هاتف: 442 866-1-961+، فاكس: 443 866-1-961+
email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على
 @DarAlSaqi
 دار الساقي
Dar Al Saqi

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ من رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا
تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود ٨٨)




مكتبة
الفكر الجديد

إلى كلّ أتباع ملّة إبراهيم حنيفاً، الباحثين عن الحقيقة أينما وُجدَت، والمُتّبِعينَ لها مهما كلّفت؛

أهدي هذا الكُتيّب المتواضع لعلّه يساعدهم للوصول إلى قراءة أشمل وفهم أعمق للتنزيل الحكيم.




مكتبة
الفكر الجديد

المحتويات




مكتبة
الفكر الجديد

من نتائج القراءة المعاصرة

الدين لا يملك أداة الإكراه، لكنّ الدولة تملكها.
الدين يُحرِّم ويأمر وينهى لكنّه لا يمنع؛
أما الدولة فتأمر وتنهى وتمنع لكنّها لا تُحرِّم.
يمكن فصل الدين عن السلطة، لكن لا يمكن فصله عن المجتمع.
القيم الإنسانيّة من الدين، وتمثّل المرجعيّة الأخلاقيّة للدولة والمجتمع؛
وكلما علت المناصب زادت المسؤوليّة الأخلاقيّة.
سلطة الدين مرجعيّتها الضمير، وسلطة الدولة مرجعيّتها القانون.
مجال سلطة الدين أوسع من مجال سلطة القانون.
الدين حدّد الحرام، والقانون ينظّم الحلال.
الحرام شمولي أبدي، لكنّ القانون (تنظيم الحلال) مرحلي متطوّر.
التنزيل الحكيم ختم المحرّمات،
أمّا السنّة النبويّة فمارست تنظيم الحلال (القانون المدني)؛
ولا تحمل الطابع الشمولي الأبدي ولا يُقاس عليها؛
ولا وجود لما يُسمّى وحياً ثانياً، ولا ما يُسمّى عصمة الأئمّة.




مكتبة
الفكر الجديد

تقديم

أصدرت خلال المدّة ما بين ١٩٩٠ و٢٠١٥، عشرة كتب اعتمدت فيها منهجاً قراءاتيّاً معاصراً للتنزيل الحكيم. وقد تجلّت عن هذا المنهج معانٍ جديدة للمصطلحات الواردة في التنزيل الحكيم، فرأيت أنّ من الضروري جمع هذه المصطلحات المتناثرة في كتبي ووضعها في هذا الكتيّب، مع مقدّمة وافية أوجزت فيها المنهج المتّبع، لمساعدة القارئ الكريم على فهم ما جاء في كتبي من أفكار والاستفادة منها بنحو أفضل.

أرجو من الله أن يتمّ نعمته عليّ، فأتمكّن من إكمال المشوار الذي بدأته، وهو خير معين وأرحم الراحمين.

محمّد شحرور

دمشق في ٢ أيار/مايو ٢٠١٦




مكتبة
الفكر الجديد

لمحة وجيزة عن قراءتنا المعاصرة للتنزيل الحكيم

أردنا من خلال هذه اللمحة تقديم صورة وجيزة عن قراءتنا المعاصرة التي تمكّنا من الوصول إليها بالاعتماد على اللسانيّات الحديثة والأرضيّة المعرفيّة المعاصرة. وقد حوت هذه اللمحة الأسس التي تقوم عليها قراءتنا المعاصرة والتي قمنا بتطبيقها في كتبنا العشرة التي نشرناها حتى الآن، ابتداءً من عام ١٩٩٠، بدءاً بكتاب **الكتاب والقرآن** الذي تلته مجموعة من الكتب هي: **الدولة والمجتمع**، **الإسلام والإيمان**، **فقه المرأة**، **تجفيف منابع الإرهاب**، **القصص القرآني** بجزأيه الأول والثاني، **السنّة الرسولية والسنّة النبوية**، **الدين والسلطة**، وأخيراً وليس آخراً **أمّ الكتاب وتفصيلها**. فهذه الكتب تقدّم فكراً جديداً مؤسَّساً على منهج معرفي معاصر، وبالتالي فإنّ فهم ما جاء فيها من أفكار فهماً معمّقاً يحتاج إلى الاطلاع على المنهج الذي اعتمدناه فيها وعلى قائمة المصطلحات التي توصّلنا إليها من خلال قراءتنا المعاصرة.

انطلاقاً من ذلك ارتأينا أن نقدّم في هذا الدليل النقاط الرئيسية للنظام المعرفي المتّبع في قراءتنا المعاصرة، وهي عبارة عن نقاط تتألف من المنهج اللغوي والمنهج الفكري المتبع في التعامل مع التنزيل الحكيم. وقد جرى اختصار المنهج وتكثيفه في بنود مرقمة

لجعلها سهلة على القارئ، بحيث بدأنا بالبنود اللغوية، ثمّ الفكرية ثمّ الفقهية، حتّى يتسنّى للقارئ أن يستوعب كيف توصّلنا إلى الاستنتاجات التي أوردناها في الجزء الثاني من هذا الدليل والخاصّ بالمصطلحات التي تمّ التوصّل إليها وشرحها بالتفصيل في كتبنا.

سيكتشف القارئ من خلال هذا الدليل معنى ومحتوى القراءة المعاصرة، التي تمّ التوصّل إليها بفضل اختراق الكثير ممّا يسمّى الثوابت في المنظومة التراثية، وخاصّة ما يسمّى الفقه وأصوله التي وضعها أناس عاشوا في القرون الهجرية الأولى وهي - برأينا - لا تحمل أيّ قدسية لأنها تمثل المنظومة القانونية للدولة التي نشأت في ظلها، وبذلك فهي متجاوزة زمانياً ومعرفياً. لهذا نحن مقتنعون بأنّنا لن نتمكّن من تجديد الفقه والفكر الديني عامّة إذا لم يتم اختراق هذه الثوابت المتجاوزة معرفياً، ونورد في نفس السياق مقولة آينشتاين الشهيرة: "إنّ لمن الحماقة أن تعتقد أنك ستحصل على نتائج جديدة وأنت تكرّر الشيء نفسه". وقد كان سبب اختراقنا لهذه الثوابت أننا رأينا أنّ الكثير من أطروحات التجديد الموجودة في الساحة الفكرية لا معنى لها ولا تؤتي ثمارها، لأنّها تكرار للذات وللسلف وهي مجموعة من الخطابات والكلمات الرنّانة بدون أيّ معانٍ أو أفكار مفيدة، أي إنّ الثقافة الإسلامية تعيد إنتاج نفسها إلى اليوم حتى في وسائل الاتّصال المعاصرة، لأنّ أيّ تجديد لا يُسمّى تجديداً إلّا إذا تم فيه اختراق الأصول.

كذلك علينا أن ندرك حقيقة تاريخية هامة جداً تتمثّل في أنّ التاريخ الإنساني حسب التنزيل الحكيم يمكن تقسيمه إلى مرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة الرسالات التي انتهت برسالة محمّد (ص)،



وهي الرسالة التي نُسخت فيها الرسالات السابقة لها، والمرحلة الثانية مرحلة ما بعد الرسالات التي نعيشها نحن. وقد ختمت الرسالة المحمّدية التشريع الإلهي والنسخ الإلهي وبدأت بالتشريع الإنساني والنسخ الإنساني، علماً بأنّ النبيّ (ص) مارس الحالتين معاً إذ كان عليه البلاغ في الرسالة، وفي الحالة الإنسانية شرّع لمجتمعه في تفصيل المحكم وتنظيم الحلال: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾ (الحشر ٧)، ولم يشرح أيّ شيء من رسالته سوى الشعائر. وهذا هو القانون المدني الإنساني القابل للنسخ والتغيّر باختلاف الزمان والمكان. هذا التغيّر في التشريعات هو ما ينطوي تحت ظلّ ميزة الحنيفية التي تتّصف بها الرسالة الإلهية، وهي تتماشى مع درجة تطوّر كلّ مجتمع، أي إنّ الإنسانية اليوم لا تحتاج إلى أيّ رسالة أو نبوّة، بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها بدون نبوّات، وقادرة على التشريع لنفسها بدون رسالات. والإنسانية اليوم أفضل بكثير ممّا كانت عليه في عصور الرسالات، لأن البشرية كانت قديماً بحاجة إلى الرسالات لترتقي من المملكة الحيوانية إلى الإنسانية، أمّا الآن فقد تطوّرت ووصلت إلى مستوى بعيد جداً عن مستوى المملكة الحيوانية، لأنّ المستوى الإنساني والأخلاقي في تعامل الناس بعضهم مع بعض الآن هو أفضل بكثير عن ذي قبل وحتى عن عهد الرسالات، وبالتالي يصبح البكاء على عصر الرسالات لا جدوى منه، لأنّ مستوى الإنسانية الآن أرقى معرفياً وتشريعياً من ذي قبل. فأمّا معرفياً فتشهد عليه التطوّرات العلمية التي حصلت في مختلف مجالات العلوم والتكنولوجيا، وأمّا في التشريع فإننا نجد



الإنسانية تعيش مرحلة التشريع الإنساني بعد انتهاء مرحلة التشريع الإلهي مع الرسالة الخاتمة التي جاءت للرسول (ص) بالحنيفية، بحيث أصبحت التشريعات الإنسانية ينسخ بعضها بعضاً تماشياً مع تطوّر المجتمعات من كلّ النواحي، بينما من الناحية الأخلاقية يكفينا دليلاً على ذلك أنّ ضمان حقوق الإنسان في العالم أصبح كابوساً على رأس كلّ متسلط، بالإضافة إلى أنّ المؤسّسات المدنية المحلية والعالمية التي تقوم على أساس تطوّعي، تتنامى يوماً بعد يوم، إذ تمّ إلغاء الرق عالمياً إلغاءً كاملاً، وهي مهمّة دشّنت بدايتها الرسالة المحمّدية على عهد النبي (ص) بتحويل العملية من رقّ إلى عقد عمل بين أحرار، وهي ظاهرة لم تعرفها البشرية قبل البعثة المحمّدية، ولم تُطبّق إلا بعد مرور ألف سنة على نزول الرسالة المحمّدية.

إنّ قراءتنا المعاصرة للرسالة المحمّدية التي وردت بين دفّتي المصحف جاءت من منطلق كونها خاتم الرسالات، فتمعنّا فيها بعيون وعقل عصر ما بعد الرسالات على أساس أن الخطاب الإلهي الذي جاء فيها يستوعب كلّ المستويات الإنسانية، بحيث جاء مستوعباً لمستوى الأوّلين الذين قرؤوه بعيونهم وبمستوى معارفهم، وجاء مستوعباً لمستوانا، وبالتالي علينا أن نقرأه بعيوننا وبمستوى معارفنا، كما جاء مستوعباً لمستويات مَن بعدنا من الأجيال الذين يجب عليهم أن يقرؤوه بعيونهم وبمختلف مستوياتهم المعرفية، وهذا يؤكّد مصداقية الرسالة المحمّدية على أنّها رسالة إلهية وأنّها الخاتم وصالحة لكلّ زمان ومكان، إذ لا يمكن أن تكون صلاحيتها إلى يوم الدين إلّا بهذه الصورة.



النّظام المعرفي المتبع

النظام المعرفي أو المنهج المتّبع الذي انطلقنا منه في محاولة فهم التنزيل الحكيم وتقديم قراءة معاصرة له، سواء في موضوع النبوّة أو الرسالة، هدفه العمل على إعادة تأسيس فكر ديني معاصر، لا يتناطح مع ما توصّلت إليه المعارف الإنسانية، باستعمال أرضية معرفية متطوّرة لفهم نصوص التنزيل الحكيم، وإعادة تأسيس فقه إسلامي معاصر يقدّم رؤية مغايرة لعملية التشريع التي يجب أنَ تتماشى مع التطوّر المعرفي لأيّ مجتمع. على ألّا ننسى أنّ قراءتنا المعاصرة للتنزيل الحكيم ليست القراءة الأخيرة له، لأنّ القول بأنّها الأخيرة يوقعنا في ما وقع فيه السلف والسلفيون والآباء والآبائيون، لأنّ من يدّعي فهم كتاب الله ككلّ من أوّله إلى آخره فهماً مطلقاً، إنّما يدّعي شراكة الله في المعرفة في ضوء قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد ٤٣)، وبالتالي فإنّ كتب التفسير التي تفسّر التنزيل الحكيم من أوّله إلى آخره لا تعني شيئاً بالنسبة إلينا من الناحية العلمية وليس لها أيّ مصداقية لأنّها ترتكز في عمومها على التفاسير التوراتية وعلى أسباب النزول وأقوال السلف. أمّا مبادئ منهجنا المعاصر في فهم نصوص التنزيل الحكيم فهي مبادئ ذات



أرضية علمية ولها مصداقيتها في التطبيق وترتكز على ما يلي:

أولاً: الإيمانيات

١- إن آيات التنزيل الحكيم عبارة عن نصّ إيماني وليست دليلاً علمياً، بحيث يمكن إقامة الحجّة بواسطتها على أتباع المؤمنين بها فقط، أمّا على غيرهم فلا يمكن. وعلى أتباع الرسالة المحمّدية المؤمنين بالتنزيل الحكيم أن يوردوا الدليل العلمي والمنطقي على مصداقيتها، وفي ذلك تتمثّل مهمّتهم الأساسية. علما أنّ كلّ الإنسانية تعمل على ذلك أعلمت بذلك أم لم تعلم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠).

٢- إن التاريخ الإنساني ككل في مسيرته العلمية والتشريعية والاجتماعية، هو صاحب الحق في الكشف عن مصداقية التنزيل الحكيم، وهذه المصداقية ليس من الضروري أن ترد على لسان صحابي أو تابعي أو فقيه بل قد ترد على لسان كل من يقرأ نصوص التنزيل الحكيم قراءة واعية وممنهجة.

٣- إن الوجود المادّي وقوانينه هما كلمات الله، وأبجدية هذه الكلمات هي علوم الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا والفضاء... إلخ، وإنّ الكمّ المنفصل (Digital) والكمّ المتّصل (Equations) هما آليّة هذه العلوم، وهذا الوجود مكتفٍ ذاتياً ولا يحتاج إلى شيء من خارجه لفهمه، وهو لا يكذب على أحد ولا يغشّ أحداً،



وفي نفس الوقت لا يساير أحداً وهو عادل في ذاته: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام ١١٥).

٤ - بما أن التنزيل الحكيم هو كلام الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ (التوبة ٦)، فوجب بالضرورة أن يكون مكتفياً ذاتياً، وهو كالوجود لا يحتاج إلى أيّ شيء من خارجه لفهمه، هذا لإيماننا واعتقادنا بأنّ خالق الكون بكلماته هو نفسه موحي التنزيل الحكيم بكلامه، وهو الله سبحانه وتعالى. لذا فإن مفاتيح فهم التنزيل الحكيم ليست من خارجه بل هي بالضرورة داخله (تفصيل الكتاب) وما علينا إلّا البحث عنها فيه. وانطلاقاً من أنّ أبجدية كلام الله هي فهم المصطلحات - بحيث أوردنا جزءاً خاصّاً بها في آخر الكتيب - فإنّ فهم هذه المصطلحات يعتمد على تطبيق منهج معرفي في مهمّة التعامل مع نصوص التنزيل الحكيم. وما دامت المعرفة أسيرة أدواتها - وهذا ما سنشرحه في المنهج - فإن التنزيل الحكيم مطلق في ذاته، لكنه نسبي لقارئه لأنّ نسبيته تتبع تطوّر نظم المعرفة وأدواتها لدى الإنسان، وهذا ما نطلق عليه ثبات النص في ذاته وحركة المحتوى لقارئه في فهمه، ومن هنا نفهم لماذا كان النبي (ص) ممتنعاً عن شرح الكتاب كله إلا في الشعائر فقط.

٥- الأساس في الحياة هو الإباحة، لذا فإن الوحيد صاحب الحق في التحريم هو الله فقط، ولكنّه أيضاً يأمر وينهى، والنبي كان يأمر وينهى، والناس كانوا وما زالوا يأمرون وينهَون، لأنّ هناك فرقاً شاسعاً بين التحريم والنهي. ويتّضح ذلك على أساس أنّ المحرّمات قد أُغلقت في كتاب الله وحُصرت فيه بـ ١٤ محرّماً لا أكثر ولا أقل، وبالتالي تصبح



كل إفتاءات التحريم لا قيمة لها. وهكذا فإنّ كل ما عدا الله، ابتداءً من الرسل وانتهاءً بالهيئات التشريعية، تنحصر مهمّته في الأمر والنهي فقط: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر ٧)، حيث إنّ كلّاً من الأمر والنهي ظرفي زماني مكاني، والتحريم شمولي أبدي. لذا فإن الرسول (ص) لا يحرم ولا يحلل، وإنما يأمر وينهى، وكلّ نواهيه ظرفية لأنها عبارة عن اجتهادات في تفصيل المحكم كما جاء في الرسالة المحمّدية، وهي قابلة للنسخ لأنها اجتهادات إنسانية ظرفية وليست وحياً، وكانت بمثابة القانون المدني الذي سنّه لمجتمعه بناءً على اجتهاده الإنساني كقائد أعلى للمجتمع، لذا فإن اجتهاداته ليست وحياً، وجاءت طاعته فيه طاعة منفصلة أي واجبة لمن عاصره من أفراد مجتمعه فقط. علماً بأنّ الدين كما جاء في الرسالة المحمّدية يأمر وينهى ويحرّم لكنّه لا يمنع لأنه لا يملك أداة الإكراه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (البقرة ٢٥٦)، أمّا السلطة في أيّ دولة فإنها تأمر وتنهى وتمنع عن طريق السلطة التشريعية فيها وذلك لأن الدولة تملك سلطة الإكراه (السلطة التنفيذية) لكنّها لا تحرّم لأنّ الله فقط هو صاحب الحق في التحريم.

٦- إنّ محمّداً (ص) قد جاء نبيّاً مجتهداً غير معصوم في مقام النبوة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (التوبة ١١٧)، وجاء رسولاً مبلّغاً ومعصوماً في مقام الرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة ٦٧)، وبناءً على ذلك فهناك نوعان من السنّة: سنّة رسولية وسنّة نبوية، بحيث يوجد المحرّمات الإلهية الـ١٤ في



السنة الرسولية لأنّ مهمّة الرسول (ص) فيها تمثّلت في تبليغ ما أوحي إليه من ربّه فقط، أمّا السنة الثانية فكانت مناط اجتهاده من مقام النبوّة كقائد أعلى للمجتمع، وبالتالي ليس فيها محرّمات إطلاقاً وإنما جاءت على شكل أوامر ونواهٍ ظرفية لزمانه. وعلى هذا الأساس فإنّ طاعته في حالتيه كرسول مُبلِّغ وكنبي مجتهد جاءت لمقام الرسالة لأنّ الطاعة تكون للقانون لا للقوّة. فأمّا طاعته في السنّة الرسولية فطاعة متّصلة أي لمن عاصره من أفراد مجتمعه ولمن بعدهم بطاعته في ما أوحي إليه من ربّه من نصوص تشريعية، وأمّا طاعته في السنة النبوية فطاعة منفصلة أي كانت لازمة لمن عاصره من أفراد مجتمعه فقط وليست واجبة على من بعدهم بطاعته في تشريعاته التي سنّها لهم كقائد أعلى للمجتمع.

٧- تذكرة الدخول إلى الإسلام هي الإيمان بالله واليوم الآخر تسليماً، والإسلام يقوم على هذه المُسَلَّمة، والعمل الصالح هو السلوك العامّ للمسلم، وكلّ مؤمن بالله واليوم الآخر تسليماً ويعمل صالحاً فهو مسلم مهما كانت ملّته الدينية، فيما التنزيل الحكيم سمّى أتباع ملّة محمّد (ص) "مؤمنون" لأنهم بالإضافة إلى إيمانهم بالله واليوم الآخر كغيرهم من المسلمين فإنهم يقتدون بالنبي (ص) في الشعائر، لأنّ اختلاف الملل الدينية يقوم على اختلاف الشعائر في ما بينها، وكلّ عمل هو وقفٌ على أتباع الملّة المحمّدية ولا يقوم به غيرهم هو من الإيمان بنبوّة محمّد (ص)، مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان ونصاب الزكاة وصلاة الجنازة، حيث إنّ هذه الشعائر هي من أركان الإيمان وليست من أركان الإسلام ويكون الإبداع فيها بدعة ومرفوضاً. وبما أنّ القيم الإنسانية من العمل الصالح فهي من الإسلام وليست وقفاً



على أتباع الرسالة المحمّدية فقط، مثل برّ الوالدين والصدق وعدم قتل النفس وعدم الغشّ والأمانة... إلخ. وما دام العمل الصالح من الإسلام، فأبدع ما شئت، ولك الأجر أنت ومن اتّبعك. ورأس الإسلام هو شهادة أنْ "لا إله إلّا الله" شهادة شاهد: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الأنبياء ١٠٨)، أمّا شهادة أنّ "محمّداً رسول الله" فهي رأس الإيمان، والإيمان بها تصديقاً. وبناءً على ذلك فإنّ أتباعه (ص) هم "المسلمون المؤمنون" لأنّهم يشهدون شهادة الإسلام وشهادة الإيمان. إنّ الإسلام دين عالمي إنساني، وهو الدين الوحيد الذي ارتضاه الله لعباده، لأنّه دين الفطرة، وقد تراكم من نوح حتى محمّد (ص). أمّا أركان الإيمان فهي ضدّ الفطرة تماماً كصوم رمضان والصلوات الخمس، ولا يمكن للإنسان أن يقوم بها إلّا إذا أمره أحد بها وهداه إليها ثمّ قبلَ هو بها، لذا قال تعالى عن الإسلام والإيمان: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات ١٧).

وبناءً عليه، يصبح أهمّ إصلاح ثقافي نحن بحاجة إليه هو تصحيح أركان الإسلام وأركان الإيمان بالتمييز بينهما، لأنّ أركان الإيمان وُضعت على أنها أركان الإسلام في منظومتنا التراثية، ما أوقعنا في أزمة ثقافية وأخلاقية كبيرة جداً وعزلنا عن بقيّة العالم. لأننا نلاحظ في الأركان التي وضعوها للإسلام غياباً تامّاً للأخلاق والقيم العليا بحيث جعلوا الإسلام دين تكليف مع أنّه دين يتماشى مع الفطرة على عكس الإيمان القائم على التكليف.



ثانياً: الأوّليّات

عند دراسة أيّ نص لغوي، مهما كان نوعه، نجده يتأسّس على الأركان التالية: المؤلّف - النصّ - القارئ أو السامع. فالقارئ يتعرّف إلى المؤلف من خلال النصّ وقراءاته له، وليس ضرورياً أن يذهب القارئ إلى المؤلف ويجلس معه ليفهم منه ماذا يريد بكتابه. فإذا فهم القارئ النصّ مئة بالمئة كما أراد المؤلف، فهذا يعني أنّه دخل إلى عقل المؤلف وصار مثله في المعارف الواردة في النص. وعندما يقرأ القارئ النصّ فإنّه يوظف معلوماته المكتسبة تلقائياً ليفهمه، فإذا لم يفعل ذلك فإنّه يعطّل فكره ولا يفهم شيئاً، وهذا ما يحصل مع شديد الأسف عند الكثير من الناس حين يقرؤون آيات الذكر الحكيم. ففي التنزيل الحكيم، ولله المثل الأعلى، المؤلِّف هو الله المطلق المعرفة، والنصّ هو التنزيل الموحى، والسامع هو الناس المحدودو المعرفة من زمن التنزيل إلى أن تقوم الساعة، بمختلف مداركهم ومعارفهم المتطوّرة والمتقدّمة دائماً. لذا لا يمكن لإنسان واحد أو لمجموعة من البشر في جيل واحد، فهم معاني نصوص التنزيل الحكيم فهماً كاملاً ومطلقاً كما أراده صائغه، وإلّا أصبح شريكاً لله في المعرفة، بدلالة قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام ٦٧). وما دام الأمر كذلك، وإذ لن يأتي وحي ولا تنزيل بعد محمّد (ص) الخاتم، كي يضع الأنباء في مستقرّها، وما دام الله يعلم بعلمه الكليّ اختلاف القارئ - إلى أن تقوم الساعة - حسب اختلاف الأرضية المعرفية والمدركات لكلّ زمن، جاء تنزيله عزّ وجلّ يحمل ظاهرة التشابه، أي ثبات النصّ وحركيّة المحتوى في النبوّة، وجاءت الأحكام في هذا التنزيل حنيفيّة، تحمل مرونة التطابق



مع المتغيّرات الزمانية والمكانية، في تحرّكها بين حدود الله الدنيا والعليا في الرسالة، تاركة للمجتمع فهم معاني النصوص وفق الأرضية المعرفية لكلّ مجتمع، واختيار النقطة الملائمة ضمن هذه الحدود حصراً لتقف عليها وتأخذ بها، مقلدة التشريع الإلهي في مؤسّساتها التشريعية بإصدار شرائع حدودية ظرفية بالاجتهاد في تفصيل المحكم الذي يتضمّن الحدود الدنيا والعليا التي جاءت في الرسالة الإلهية، علماً بأنّ الثابت في التشريع هو الآيات المحكمات وفيها كلّ المحرمات، أمّا حنيفية التشريع فتتجلّى في تفصيل المحكم.

ثالثاً: اللغويّات

١- الألفاظ خدم للمعاني، فالمعاني هي المالكة لسياستها والمتحكّمة فيها. ووظيفة اللغة هي آليّة التفكير ونقل ما يريده متكلم إلى سامع.

٢- حين يخاطب المتكلم سامعاً، فهو لا يقصد إفهامه معاني الكلمات المفردة، لذا فالثقافة المعجمية غير كافية لفهم أيّ نصّ لغوي، فما بالك إن كان النصّ هو التنزيل الحكيم. فالمعاني موجودة في النظم، لا في الألفاظ كلّ على حدة، وحين نقول إنّ الولد أكل تفاحة حمراء، فنحن نعني ضمناً وبالضرورة أنّ هناك تفّاحاً بألوان أخرى. وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف ٣٣)، فنحن نفهم ضمناً وبالضرورة أنّ هناك إثماً وبغياً بحقّ، ولو لم نقل ذلك لفظاً بالنص، وهذا ما يسمىّ المسكوت عنه.



٣- اللغة حاملة للفكر، وتتطوّر معه. وهناك تلازم لا ينفصم بين اللغة ووظيفة التفكير عند الإنسان، حتى الأحلام التي يراها النائم، يراها ضمن حامل لغوي.

٤- جاء التنزيل الحكيم على أعلى مستوى من البلاغة التي لا يمكن تجاوزها أو الإتيان بمثلها في أداء المعنى وتوصيله إلى السامع. فهو الكتاب الوحيد الذي يمثّل في جميع آياته الخيط الفاصل بين الإطالة المملّة والإيجاز المخلّ. لهذا علينا أن نقرأ المسكوت عنه الذي اقتضته البلاغة، كما في آية المواريث حيث سكت عن الذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ (النساء ١١)، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ (النساء ١١).

٥- جاء التنزيل الحكيم ليطوّر اللغة العربية، بحيث ألغى الترادف في الألفاظ وفي التركيب، وانتقل باللغة العربية إلى مستوى التجريد الكامل بحيث تستوعب أكبر المكتشفات. فاللوح المحفوظ غير الإمام المبين، والكتاب غير القرآن، و"للذكر مثل حظّ الأنثيين" لا تعني "للذكر مثلا حظّ الأنثى". ومن يقُلْ بالترادف في المفردات والتراكيب فكأنما يقول إنّ التنزيل الحكيم نزل على مبدأ "ما أعذب هذا الكلام لا أكثر من ذلك" مقارنة بالشعر الذي لا يعيبه الترادف والكذب والخيال. وبالتالي فإنّ القول بأنّ الناقة لها خمسون اسماً من باب الترادف يمثّل مرحلة ما قبل التجريد النهائي في اللغة العربية الذي جاء به التنزيل الحكيم، ويمثّل بدائية اللغة، لذا لا نأخذ به الآن لأنّ التنزيل الحكيم تجاوزه تماماً.

٦- التنزيل الحكيم كتاب دقيق في تراكيبه ومعانيه، انطلاقاً من أنّ



الدقة فيه لا تقلّ عن مثيلتها في الكيمياء والفيزياء والطبّ والرياضيات. وهذا الأمر طبيعي، انطلاقاً من اقتناعنا بأنّ صانع هذا الكون من أصغر ذرّة إلى أكبر مجرّة، وخالق هذا الإنسان بأعصابه وأوردته وشرايينه وعظامه ولحمه وجلده وشعره وأجهزة السمع والبصر والإدراك، هو ذاته صاحب التنزيل، الذي لا بد من أن تتجلّى فيه دقة الصانع ووحدة الناموس. فلكلّ حرف فيه وظيفة، ولكلّ كلمة فيه مهمّة، وقوله تعالى: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ...﴾ (النساء ١١)، لا تعني أبداً "ولوالديه لكلّ واحد منهما السدس". لذا فإنّ تطوّر مستوى الدقة عندنا أعلى بكثير من ذاك الذي كان عند السلف، فالكون هو الكون، ولكنّ مستوى الدقة عندنا الآن في دِراسة الكون أعلى بكثير ممّا كان عليه في القرن الماضي. واستعمال دقة العصر في العلوم والتشريع هو من أساسيّات القراءة المعاصرة.

٧- عند تأويل آيات التنزيل الحكيم لا بدّ من الإمساك بالخيط اللغوي الرفيع الذي لا يجوز تركه، والذي يربط ويصل الشكل بالمضمون، لأنّه إذا انقطع هذا الخيط بين البنية والدلالة تصبح احتمالات معاني الآيات لانهائية.

٨- نحن ننطلق في قراءتنا المعاصرة من أنّ إرساء أسس التدوين والتقعيد، جاء لاحقاً للسان العربي ولاحقاً للتنزيل الحكيم لا سابقاً له. فإذا قال سيبويه إنّ الفعل يجب أن يماثل الفاعل في الإفراد والتثنية والجمع، ثمّ نقرأ قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ (الحج ١٩)، فهذا لا يعني أنّ الله أخطأ في القواعد التي أرساها سيبويه، بل يعني أنّ سيبويه حين أسّس لقواعده لم يُحْكِم ما أسّسه على ما ينبغي،



وهذا يفسّر لنا خلافات مدارس النحو وأهله في المئات من المسائل. إنّ أسس النحو والصرف قُعِّدت بعد أن وُجدت اللغة واللسان لا قبلهما. والمتأمّل في هذه القواعد والأسس، يجد أنّها تتبع النصوص كيفما تحرّكت، وأنّها مصوغة أصلاً استخراجاً ممّا تحرّكت به النصوص، وأنّ الحكم في صحّة القاعدة أو في عدم صحّتها هو لما قاله العرب وسمعوه، ونحن نؤكد أنّ السلطة للنصّ على القاعدة وليس العكس، وخاصّة في التنزيل الحكيم.

٩- نرى أنّ التنزيل الحكيم جاء يحمل في ذاته تطويراً لغوياً لم يعرفه الجاهليون في لسانهم قبله بحيث ألغى الترادف، لأنّ استعمال الترادف كان موجوداً في اللغة العربية وخاصة في الشعر ويمثّل مرحلة ما قبل التجريد الكامل التي جاء بها التنزيل من خلال إلغائه للترادف، إذ يمتاز التنزيل الحكيم بأسلوب متميّز في النّظم يخرجه كليّة من دائرة الشعر أو الخطابة التي عرفها العرب قبله، وفيه مصطلحات مستحدثة انفرد بها، لم تكن موجودة قبله. وهذا وأشباهه كثير كثير، يؤكّد استحالة اعتبار مفردات الجاهلية كافية بذاتها لفهم التنزيل الحكيم، مع الإشارة إلى أنّ معنى الترادف الذي كان مستعمَلاً يومها هو وجود مفردتين أو أكثر بمعنى واحد، وهو ما ألغاه التنزيل الحكيم لإزالة التداخل في معاني المصطلحات، أما أن تكون هناك مفردة أي مصطلح ذي معنيين أو عدّة معانٍ، فهذا وارد ويدلّ على تطوّر اللغة وموجود في كلّ لغات العالم، مثل مفردة "نساء" التي تأتي كجمع لمفردة "نَسيء" وقد تأتي كجمع لمفردة "امرأة"، وكذلك مصطلح "عبد" فهو أيضاً يحمل معنى الطاعة ومعنى المعصية، ومفردة "أمر" لها أيضاً خمسة معانٍ؛ وبالتالي يُفهم



المعنى المقصود منها حسب المعنى العام لسياق الجملة التي وردت فيها ووفق نظمها.

١٠- لقد وضع الخليل وسيبويه قواعد اللسان العربي على مبدأ الشكل: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، وهو ما يُسمّى علم النحو، ثمّ جاء علم البلاغة (المعاني) وكأنّه قام بالفصل بين النحو والبلاغة كلّ على حدة، بحيث نجد أنّ سيبويه والجرجاني وابن جنّي وأبا علي الفارسي وكلّ علماء اللغة ظهروا في القرون الهجرية الأولى. ونحن الآن في بدايات القرن الحادي والعشرين، نعلم أنّ علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والطبّ وكلّ العلوم الأخرى تقدّمت تقدّماً هائلاً لا يقاس أصلاً بالماضي، بالإضافة إلى علوم اللسانيات، لكنّ علماء الدين نسوا أنّ علوم اللغات تطوّرت أيضاً تطوّراً هائلاً. فكيف لنا نحن ألّا نأخذ في الاعتبار هذا التطوّر الهائل لعلوم اللسانيات عند دراسة آيات التنزيل الحكيم لفهمها بنحو أفضل ومعاصر؟

رابعاً: المنهج الفكري

التنزيل الحكيم، كتاب منزل من إله عالم كامل العلم والمعرفة، ذي علم مطلق. لهذا لا يمكن لكتابه أن يحتمل الخطأ أو التناقض. وبالتالي فإنّ فهمه على نحو لامتناقض يحتاج إلى منهج فكري يساعد على التعمّق فيه لإزالة الإشكالات التي قد تبدو لنا فيه قبل ذلك. وقد وضعنا منهجنا الفكري لفهم نصوصه بالارتكاز على ما توصّل إليه كل من علمي اللسانيات والإبستمولوجيا الحديثين. فجاء منهجنا مبنيّاً على



المبادئ التالية:

١- لا يمكن فهم أيّ نصّ لغوي إلّا على نحو يقتضيه العقل.

٢- اللغة حاملة للفكر الإنساني، لكن الفكر الإنساني يمكن أن يكون صادقاً، ويمكن أن يكون كاذباً، وهذا يعني أن توفر الرباط المنطقي، وصحّة الشكل اللغوي في النصّ، لا يعنيان بالضرورة أنّه حقيقي، وجمال التركيب اللغوي ومتانته في النصّ لا يعنيان بالضرورة أنّه صادق. من هنا لا يمكن الاقتصار على إعجاز التنزيل في القول بأنّه استعمل مختلف أدوات وأساليب البلاغة والبيان التي عرفها العرب، بل يجب - بالإضافة إلى ذلك - الإيمان بأنّ النبأ القرآني صادق وحقيقي، وأنّ التشريع في الرسالة واقعي وعالمي، وكلّ من يعمل في حياته للبرهان على صدقية التنزيل الحكيم في أنبائه وواقعيته في تشريعاته فهو من الصدّيقين. لقد كان يعنيني كثيراً صدق النبأ في النصّ القرآني، وواقعية التشريع في آيات الأحكام (أمّ الكتاب والتفصيلها) أكثر ممّا يعنيني جمال التركيب والصياغة فصدق النبأ الإلهي عندي أهمّ من تصديق المراجع كائناً من كان مؤلفها.

٣- بالإضافة إلى أنّ التنزيل الحكيم يحوي المصداقية، أي إنه صادق ومتطابق مع الواقع ومع القوانين الطبيعية والفطرة الإنسانية، فهو أيضاً يحوي الأهمية وهو خالٍ من العبث ومن الأخبار غير المهمّة والمعروفة عند الناس. فالناس لا تحتاج إلى وحي لتعرف، مثلاً، أنّ الجرّة تنكسر إذا وقعت من ارتفاع عالٍ، ولا تحتاج إلى وحي لتعرف أنّ الفيل ذنبه قصير وخرطومه طويل. لكنّنا إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ



كَامِلَةٌ...﴾ (البقرة ١٩٦)، وسلّمنا بما ورد في التفاسير بشأنها، وجدنا أنّ الله في الآية يعلّم الناس أنّ: (٣ + ٧ = ١٠)، مع أنّ هذا خبر كان يعرفه كل الناس عند نزول الوحي ولم يكونوا بحاجة إلى وحي لمعرفته، وهذا غير معقول في ضوء خلوّ التنزيل الحكيم من العبث. وعلى أساس هذا التفسير التراثي للآية، إذا حذفنا كلمة (كاملة) من الآية السابقة، لن يتأثّر المعنى الذي ذهب إليه المفسّرون وهو أنّ الله يعلّم الناس الجمع والحساب، وهذا غير صحيح في ضوء خلوّ التنزيل من الحشو. مما يستدعي إعادة قراءة للآية تحقّق مصداقية كلام الله وتجعله لا يخلو من كلّ الفرضيات دون استثناء، ويغطي: صدق التنزيل، وخلوّه من الحشو، وبُعده عن العبث في سَوق المعارف المألوفة عند الناس. وهي القراءة التي تنتبه إلى وجود أكثر من نظام واحد للعدّ عند الناس، إذ هناك النظام العُشري والنّظام السُباعي والنظام الاثنا عشري والنظام الست عشري، فالعشرة في النظام الاثني عشري مثلاً ناقصة نعبّر عنها بالشكل التالي (١٢/١٠)، أمّا العشرة في النظام العُشْري فهي عشرة كاملة، وقوله تعالى: ﴿كَامِلَةٌ﴾ في الآية إشارة إلى نوع نظام العدّ الذي جاءت آية الحج على أساسه.

٤- لا يمكن فهم التنزيل الحكيم، من خلال أسلوب فهم الشعر الجاهلي ومفرداته، فالمجتمع الجاهلي له أرضيته المعرفية وعلاقاته الاجتماعية والجمالية والأخلاقية الخاصّة به، بحيث جاءت مفردات شعره عاكسة لذلك كله ومعبّرة عنه ومُقيّدة به، ونحن لا نجد كلمات أو مفردات عند العرب وقتها تدلّ على الجاذبية الأرضية أو على كرويّتها لأنّهم لم يعرفوها أصلاً. ولو حصرنا فهم التنزيل الحكيم بمعاني



مفرداتهم، لما حقّ القول إنّ المكتشفات الحديثة العلمية أكّدت مصداقية القرآن. من هنا نقول إنّ المجتمعات هي التي تشارك في صنع المعاني حسب تطوّر معارفها، لكنّ هذه التطوّرات نفسها محسوبة في التنزيل، بحيث مهما امتدّت واتسعت، فسيجدها الإنسان منسجمة مع النصّ الإلهي، مصدّقة له ودائرة في فلكه.

٥ - جاء التنزيل الحكيم من عند إله هو كينونة في ذاته (موجود في ذاته)، وبذلك يُعدّ التنزيل الحكيم كينونة في ذاته أيضاً، ويظهر هذا جلياً في ثبات النصّ، وبتعبير آخر ثبات الذكر في صيغته اللغوية المنطوقة. إنّ النصّ اللغويّ المنطوق للتنزيل الحكيم هو الشكل الثابت فيه، الذي لا يخضع للصيرورة ولا للسيرورة. ولا أحد يملك الإدراك الكلّي له في كليّاته وجزئيّاته حتّى لو كان نبيّاً ورسولاً، لأنّه يصبح بذلك شريكاً لله في علمه الكلّي، وشريكاً لله في كينونته في ذاته، تعالى الله عمّا يصفون. لكنّنا نستطيع الإحاطة به تدريجاً من خلال الصيرورة المعرفية النسبية المتحرّكة، وتصبح الإحاطة به كليّة يوم تقوم الساعة، أي عند قيام الساعة والبعث والحساب يتمّ التأويل الكامل والنهائي للقرآن. إنّ الإنسان يقرأ التنزيل الحكيم ضمن مستوى أدواته المعرفية ومشاكله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإشكالياته المعرفية، فيجد فيه أشياء لم يجدها غيره، ويفهم منه أشياء لم يفهمها غيره، وهذا يثبت أنّ التنزيل يحمل صفة الحياة، وأنّه كينونة في ذاته فقط لكنّه سيرورة وصيرورة لغيره، وهذا ما نعنيه دائماً حين نتحدّث عن ثبات النص وحركية المحتوى والجدل بين النص والمحتوى. من هنا نجد التنزيل الحكيم يحمل دائماً صفة القراءة المعاصرة، فأنت حين تقف كقارئ في نقطة معيّنة



من التاريخ، منطلقاً من نظام معرفي معيّن، حاملاً إشكاليات اجتماعية ومعرفية معينة، ستفهم من التنزيل ذي النصّ اللغوي الثابت أموراً معيّنة لكنّ غيرك قد يفهم أموراً أخرى مع تغيّر إحداثياته ومنطلقاته، لأنّ كلّ واحد منّا يستعمل المنطق (قوانين العقل) وفق مستواه المعرفي.

٦- إنّ التنزيل الحكيم هو كلام الله غير المباشر الذي أوحاه عن طريق جبريل للنبي (ص) وفيه بعض الآيات هي كلام الله المباشر والمتمثلة في كلامه عزّ وجلّ المباشر لموسى عندما كلّمه بالواد المقدّس: ﴿... وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء ١٦٤)، بحيث نجد هذا الكلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه ١١-١٤). أمّا كلمات الله فهي الوجود والقوانين الناظمة له بفرعيه الكوني والإنساني، فمن فهمنا لكلمات الله نفهم كلامه لأنّ مصداقية كلام الله (الرسالات السماوية) لا تظهر إلّا في كلماته (الوجود الموضوعي الكوني والإنساني)، وما علينا كي نفهم كلامه إلّا أن ندرس كلماته في الوجود الكوني والإنساني بسننه وقوانينه وتشريعاته، لكنّ فهمنا لهذه السنن والقوانين يخضع للسيرورة والصيرورة، وبناءً على ذلك نقول إنّ فهمنا لكلام الله هو فهم متطوّر غير ثابت، بينما كلام الله فثابت في كينونته كنصّ إلهي مقدّس.

٧- بما أنّ التنزيل الحكيم هدى للناس ورحمة للعالمين، فهو يحمل الطابع الإنساني لا العروبي، وبالتالي يجب أن نرى مصداقيته رأيَ العين في كلّ أنحاء العالم لا في المجتمع العربي فقط، وعلى



مرّ العصور والدهور لا في عصر النبوّة والصحابة فقط. فمثلاً هناك مفردات: كالعِرض والشرف والمروءة والشهامة غير موجودة أصلاً في التنزيل الحكيم مع أنّها مفردات فصحى عربية وكانت تقوم عليها الثقافة العربية قبل البعثة المحمّدية ودارت حولها أحداث تاريخية كثيرة.

فالتنزيل الحكيم يحمل الخاصّيتين التاليتين:

أ – الوحي لا يناقض العقل (Revelation doesn't contradict reason)

ب – الوحي لا يناقض الواقع (Revelation doesn't contradict reality)

٨– يؤكّد القرآن النظرية المادّية في المعرفة الإنسانية التي يعبّر عنها مبدأ أنّ: العلم يتبع المعلوم وأنّ المعلومات تأتي من خارج الإنسان عن طريق الحواسّ والوحي (الإلهام) وغيرها. أمّا عندما يتبع المعلوم العلم فذلك من صفات الله فقط ولا يدخل في نطاق المعرفة الإنسانية. ويُعدّ التجريد الفكري لدى الإنسان هبة من الله وهبه إيّاها بنفخة الروح، ويُعبَّر عنها باللغة والرياضيّات المجرّدة التي تأتي سابقة لعلم الفيزياء. وهذا يؤكد أنّ الله عزّ وجلّ خلق الوجود من العدم، والعدم هو وجود الدالّ بدون مدلول وهذا الأمر نجده في الرياضيّات المجرّدة.

٩– تقوم المعرفة الإنسانية على مبدأ التقليم وهو تمييز الأشياء بعضها عن بعض (Identification)، ثمّ يتبعها التسطير وهو ضمّ الأشياء بعضها إلى بعض في نسق واحد وهو ما نسمّيه التصنيف (Classification). والفؤاد هو الإدراك المشخّص بالحواسّ وهو ردّ الفعل الغريزي لدى الإنسان وهو الذي يعطيه المادّة الأوليّة الخام للفكر والعقل.

١٠– إنّ مبدأ الكمّ والكيف (العدد والإحصاء – القدر والمقدار)



هو النافذة التي يطل بها الإنسان على العالم الخارجي، بحيث يبدأ الإنسان بالكيف ثمّ ينتقل إلى الكمّ والعكس.

١١- إن عناصر المعرفة الإنسانية بالعالم الموضوعي هي المادة والبعد والموقع والحركة، ومن هذه العناصر الأربعة تنتج الوظيفة والتطوّر.

١٢- إن العالم الموضوعي في التنزيل الحكيم يقوم على جدلية أساسية هي الصراع بين البقاء والهلاك، ويكون النصر دائماً للهلاك.

من هذه الجدلية نستنتج الجدليات التالية في الطبيعة:

أ - جدليّة التناقضات في الشيء الواحد: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (الحج ٥).

ب - جدليّة الأزواج أي التأثير والتأثر المتبادل بين الأشياء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ (يس ٣٦).

ت - جدليّة الأضداد (في ظواهر الأشياء أو في السلوكيات): الليل والنهار - الفجور والتقوى - الهداية والضلال.

١٣- إنّ الحرّية هي أساس الحياة الإنسانية وهي القيمة العليا المقدّسة وفيها تكمن عبادية الناس لله. وهي الكلمة التي سبقت لأهل الأرض. والعبودية غير مطلوبة أصلاً لا من الله ولا من غيره، وإن طُلبت أو وُجِدت فهي لغير الله حتماً.

خامساً: أسس التشريع المعاصر

١- يضمّ التنزيل الحكيم بين دفّتيه نبوّة محمّد (ص) كنبي، ورسالته كرسول. وتنقسم آياته من هذه الزاوية قسمين: أولاً آيات النبوّة



التي تشرح نواميس الكون وقوانينه وقوانين التاريخ وأحداث الرسالات والنبوّات (القصص)، وقد جاء في هذه الآيات ردود على أسئلة الفلسفة الكونية كالوجود الموضوعي ونظرية المعرفة الإنسانية، وهذه الآيات تحتمل التصديق والتكذيب. وثانياً: آيات الرسالة التي تشرح الأحكام والأوامر والنواهي وتحتمل الطاعة والمعصية. وبناءً على ذلك فإنّ آيات النبوّة هي الآيات المتشابهات التي تخضع كلّها لثبات النصّ وحركيّة المحتوى، ويمكن إعادة قراءتها في ضوء تطوّر الأرضية المعرفية على مرّ العصور والدهور. أمّا آيات الرسالة فهي على قسمين: قسم منها ثابت النصّ والمحتوى وهو الآيات المحكمات (أمّ الكتاب) وهي آيات مغلقة لا اجتهاد فيها (ثبات النصّ والمحتوى)، ومن خلالها تظهر الحاكميّة الإلهيّة وقد وجدنا عددها في التنزيل الحكيم (١٩) آية فقط. بينما آيات تفصيل المحكم (تفصيل أمّ الكتاب) فهي آيات تتميّز بثبات النصّ وحركية المحتوى لأنّها تخضع للاجتهاد الإنساني، ومن خلالها تظهر الحاكمية الإنسانية الحنيفية، وهي تشتمل على حدود التشريع. وفي نطاق آيات تفصيل المحكم تجتهد كلّ البرلمانات والسلطات التشريعية في العالم، علمت بذلك أم لم تعلم، لأن الحنيفية فطرة الله التي فطر الناس عليها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠).

٢ – ليس ثمّة ناسخ ومنسوخ بين آيات الرسالة في التنزيل الحكيم، لأنّ النسخ حصل بين الرسالات الإلهيّة لا في رسالة محمّد (ص). هذه الرسالة هي الخاتمة وتتكوّن من آيات محكمات هي عبارة عن آيات



مغلقة لا اجتهاد فيها وعددها (١٩) كما وجدناه بالبحث والدراسة التي حصلت لأول مرّة في تاريخ الرسالة، وتتكوّن من آيات تفصيل وتمثّل مضمار الاجتهاد الإنساني. وبناءً على ذلك فإنّ مصداقية قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ١٠٦) تتجلّى في عملية النسخ بين مختلف الرسالات الإلهية، إذ جاءت بعض المحرّمات في شريعة موسى، ثم حلّل المسيح عيسى بعده بعضها بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران ٥٠). بعد ذلك جاءت رسالة محمّد (ص) لتنسخ بعض الأحكام التي جاءت في رسالتي موسى وعيسى، كأحكام الزنا واللواط واستبدالها بأحكام أخرى، كما أضافت أحكاماً لم تنزل من قبل كالسحاق والوصيّة والإرث...

أمّا النسخ بالمعنى والمفهوم الشائع اليوم، الذي يصل بعدد الآيات المنسوخة إلى عدّة مئات، والذي يُحوّلُ الجهاد إلى غزو، ويستبدل الموعظة الحسنة بالسيف، فهو ليس عندنا بشيء. فنحن ننطلق من أنّ صاحب التنزيل هو وحده صاحب الحق في النسخ الإلهي بالحذف والتعديل والإضافة في نصوص كتابه الحكيم، ومقتنعون بأنّ ما وصلنا هو النسخة النهائية لكتابه بتمام نصوصها، وعلى ذلك لا يمكن أن تحتوي بين صفحاتها نصوصاً ينسخ بعضها بعضاً لأنّ ذلك يصبح ضرباً من العبث، بأن يرسل عزّ وجل كتاباً للإنسانية جمعاء وصالحاً ليوم الدين ثمّ يشتمل على نصوص يناقض بعضها بعضاً وينسخ بعضها بعضاً. هذا مرفوض لدينا، فنحن نراه كتاباً كاملاً وخالياً من أيّ تناقض لأنّه الصيغة الخاتمة لكتابه عزّ وجل، وجاءت فيها الرسالة على شكل



محكم وتفصيله. وبالتالي يكون الاجتهاد في نطاق التفصيل بمراعاة الظروف الموضوعية والاجتماعية لكلّ مجتمع وفق مستواه المعرفي. وبما أنّ النسخ الإلهي انتهى بين الرسالات مع الرسالة المحمّدية التي جاءت مجرّدة ومُعلنة بداية عصر ما بعد الرسالات، أي عصر الاجتهاد الإنساني، الذي تبدأ فيه الاجتهادات الإنسانية هي التي ينسخ بعضها بعضاً والتي تدور جلّها في فلك تفصيل محكم الرسالة، وبذلك فقط تظهر مصداقية الرسالة الإلهية الخاتمة.

٣- علينا أن نميّز بين النصّ التاريخي وتاريخية التفاعل مع النصّ، إذ هناك جزء من القرآن يحتوي آيات القصص القرآني يُعدّ نصوصاً تاريخية. فقد جاء حسب التنزيل الحكيم أنّ هذه النصوص تحمل صفة العبرة فقط ولا تحمل أيّ تشريع فيها، فالأنباء كلّها بما فيها أنباء الرسل، ومن ضمنها القصص المحمّدي وهي الآيات الواردة في سيرة النبي (ص) كآيات موقعة بدر وأُحد والخندق والأحزاب وتبوك وفتح مكة... وسورة التوبة، عبارة عن نصوص تاريخية ولا تؤخذ منها أيّ أحكام شرعية، ولا علاقة لها بالرسالة. فبالنسبة لنصوص القصص المحمّدي، لها مناسبات نزول لا أسباب نزول. أمّا آيات الرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها) كآيات الوصيّة والإرث... فليست نصوصاً تاريخية لأنها آيات تشريع وهي أبدية وتستوجب الطاعة المتّصلة، والاجتهادات في آيات تفصيل الرسالة هي التي تحمل صفة التاريخية لأنها اجتهادات إنسانية ينسخ بعضها بعضاً. وبناءً على ذلك نستنتج أن آيات القصص القرآني بما فيها القصص المحمّدي نصوص تاريخية، أمّا آيات الرسالة فليست نصوصاً تاريخية بل إنّ الفهم الإنساني لها هو التاريخي بمعنى



أنّ الاجتهاد فيها هو الذي يحمل صفة التاريخية لأنه إنساني قابل للنسخ.

٤- يأتي الاجتهاد في النص المقدّس حصراً بالاجتهاد في آيات تفصيل المحكم فقط. وصحّة نتيجة الاجتهاد تحدّدها المصداقية بين النصّ والواقع دون إيقاع الناس في الحرج وفيه الحدّ الأدنى من تقييد حرّيتهم. فالاجتهاد صحيح ومقبول بمقدار ما يتجاوب مع الواقع الموضوعي، وبعبارة أخرى، بمقدار فهم قارئ النصّ للواقع الموضوعي في لحظة القراءة التاريخية. ومعيار مصداقية فهم المجتهد للنصّ هو تجاوب اجتهاده مع الواقع، هذا الأمر هو الذي يحدّد صحّة القراءة أو خطأها، ودرجتها من الصواب والخطأ، وهذا أيضاً ما يحدّد نجاح أو فشل أيّ برلمان في تشريعاته، إذ كلّما كانت التشريعات متطابقة ومتجاوبة مع الواقع الموضوعي كان البرلمان ناجحاً في مهمّته لفهمه الصحيح للواقع المعيش. بهذا نفهم أنّ صاحب الحق الوحيد في إظهار مصداقية كلام الله هو الخط الكامل للسيرورة والصيرورة الإنسانية كلها، منذ آدم الى أن تقوم الساعة لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران ١٣٧) وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت ٢٠)، وليس على لسان صحابي أو تابعي أو فقيه.

٥- الإجماع هو إجماع الناس الأحياء على تشريع ما (أمر، نهي، سماح، منع) ولا علاقة له بالمحرّمات الـ١٤ التي جاءت في التنزيل الحكيم. فالتدخين مثلاً ليس من المحرّمات وبالتالي لا يمكن تحريمه بل يمكن فقط منعه بعد ثبوت أضراره عن طريق الاستفتاء والمجالس



التشريعية والبرلمانات. وكذلك الأمر بالنسبة للتعدّدية الزوجية التي أحلّها التنزيل الحكيم ولا يمكن تحريمها ولكن يمكن فقط تقييدها أو منعها قانوناً وذلك عن طريق الاستفتاء أو البرلمان، لأنّ المنع أو النهي يختلف عن التحريم بحيث إنّ الله عزّ وجلّ هو حصراً صاحب الحقّ في التحريم، وتحريمه عينيّ وأبديّ، أمّا النهي والمنع والسماح فتكون بالاجتهاد في تقييد الحلال وتدخل في نطاق الاجتهاد الإنساني وهي ظرفية مرحلية وقابلة للنسخ.

٦- القياس هو ما يقوم على البراهين الماديّة والبيّنات العلمية التي يقدّمها علماء الطبيعيات والاجتماع والإحصاء والاقتصاد... فهؤلاء هم المستشارون الحقيقيون للسلطة التشريعية والسياسية، وليس علماء الدين ومؤسّسات الإفتاء. وبواسطة هذه البيّنات المبنيّة على أسّس علمية يكون الاجتهاد في السماح والمنع لا في التحليل والتحريم.

٧- إن توضيح الفرق بين التحريم والنهي والمنع وبين التحليل والأمر والسماح، ومعرفة الدور الإلهي ودور السلطة ودور الناس في كلّ منها، يظهر على ضوء أنّ المحرّمات الـ١٤ لا تخضع للاجتهاد ولا للإجماع ولا للقياس، وفيها تتجلى الحاكمية الإلهية، والاستثناء الذي جاء فيها هو حصراً استثناء إلهي عيني، ورد في آية تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، ولا يمكن إسقاطه على بقيّة المحرمات تحت شعار "الضرورات تبيح المحظورات". بهذه الرؤية العقلانية للحلال والحرام وحدها نتمكن من إخراج الخطاب الإسلامي من حيّز المحلية إلى حيّز العالمية لبيان مصداقية الرسالة المحمّدية بأنها جاءت رحمة للعالمين، ولا يحقّ لأحد (مفتٍ – مجلس إفتاء – برلمان – استفتاء) أن



يزيد عدد المحرّمات الـ١٤ الواردة في التنزيل الحكيم. ومن يقُلْ بذلك يكُن قد تقوّل على الله بغير علم لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٦٩)، علماً بأنّ التقوّل على الله هو إضافة محرّم إلى محرّماته أو تحليل أحد محرّماته وهو أصلاً من المحرّمات الـ١٤ الواردة في كتاب الله. ونحن نرى أنّ هذا هو الحلّ الوحيد لخروج الخطاب الإسلامي في مجتمعاتنا من إطار الظرفية الزمانية والمكانية (شبه جزيرة العرب في القرن السابع ميلادي) إلى العالمية والأبدية، أي صلاحيّته كدين إنساني وحيد ارتضاه الله عزّ وجلّ للناس جميعاً في كلّ زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

٨- ضرورة فهم اجتهادات النبي (ص) في عصره على أنّها اجتهادات إنسانية وليست وحياً، وهي تدور في حقل تقييد الحلال وإطلاقه فقط، لأنّ الأساس في الحياة هو الإباحة، لأنّ كلّ حرام مرفوض لكن ليس كلّ حلال مقبولاً لأنه يخضع للعرف والقانون. فالتشريع الإنساني عبارة عن تنظيم الحلال وتقييده حسب الأعراف والتقاليد، وقد مارس (ص) كلّ اجتهاداته الشخصية كوليّ أمر أي مُشرّع لمجتمعه لبناء مجتمع مدني (المدينة المنوّرة) ودولة ضمن ظرف تاريخي معيّن يخضع لمتغيّرات الزمان والمكان (تاريخياً وجغرافياً وفكرياً). هذا الفهم لاجتهادات النبي (ص) هو تطبيق صحيح لما سمّاه علماء الأصول مبدأ "الأحكام تتغيّر بتغيّر الأزمان"، وهو مبدأ ينطبق على كلّ الاجتهادات الإنسانية بما فيها اجتهاداته (ص) في مهمّة تنظيمه لمجتمعه في المدينة، فهي اجتهادات ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ (الحشر



٧)، فقوله "ما آتاكم" تعني ما صدر منه من تشريعات إنسانية قابلة للنسخ تلزم فيها طاعة الرسول طاعة منفصلة أي كوليّ أمر بمعنى في حياته فقط من أفراد مجتمعه، وكون النبي (ص) قائداً أعلى من مقام النبوّة فلم تأت أيّ آية فيها: "أطيعوا النبيّ"، بل كلّ آيات الطاعة فيها: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لبيان أنّ الطاعة تكون للقانون لا للأشخاص. وولاة الأمور هم المشرّعون في أيّ مجتمع، والطاعة لا تكون لأشخاصهم ولا لمالك السلاح بل تكون للقانون الذي يمثّلونه في حياتهم فقط، علماً بأنّ السلطة التشريعية لا تملك أداة الإكراه.

٩- هناك سنّتان للرسول (ص): سنّة رسولية وسنّة نبوية، وهما مختلفتان تماماً إحداهما عن الأخرى. فأمّا السنّة الرسولية فهي ما ثبت عنه (ص) من رسالة إلهية موحاة إليه وموجودة في المصحف حصراً ونجدها في آيات الرسالة وهي أمّ الكتاب وتفصيلها (الآيات المحكمات وتفصيلها)، وهي من عند الله مباشرة. وقد قام الرسول (ص) بمهمّة تبليغها فقط لقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة ٩٩)، وهي التي تجب طاعته فيها طاعة متّصلة من قبل أتباعه من أمّته في حياته (ص) وبعد مماته. أمّا السنة النبوية فتتمثّل في ما ثبت عنه (ص) من أقوال وأفعال جاءت فيها اجتهاداته (ص) لتنظيم مجتمعه سياسيّاً واجتماعيّاً وفق الأعراف التي كانت سائدة يومها، وتمثل هذه الاجتهادات القانون المدني الذي وضعه (ص) لمجتمعه. وهي اجتهادات إنسانية ظرفية ولا تحمل الطابع الأبدي، لهذا جاءت طاعته فيها (ص) طاعة منفصلة أي كوليّ أمر وبالتالي واجبة على من عاصره من أفراد مجتمعه فقط، لأنّ



طاعته فيها جاءت مرتبطة بطاعته في ما أتاهم من عنده من تشريعات في قوله تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ (الحشر ٧)، أي في ما سنّ لهم من قوانين باعتباره مشرّعاً لمجتمعه، وهي أوّل اجتهاد إنساني في نصوص الرسالة الإلهية الخاتمة، وأوّل اجتهاد واجب نسخه لأنّه متجاوز زمانياً ومعرفياً.

١٠- السنّة النبوية هي بمثابة الاجتهاد الإنساني الأول في عملية التفاعل مع الرسالة الإلهية المطلقة، وهو اجتهاد يقتصر على الأمر والنهي فقط ولا يتجاوزهما إلى التحريم إطلاقاً. وقد اجتهد النبي (ص) لتنظيم المجتمع النبوي في المدينة المنوّرة، وهو أول رسول توكل له مهمّة الاجتهاد لأنه أول رسول يقوم بتنظيم مجتمع مدني انطلاقاً من اجتهاداته الإنسانية كقائد أعلى، لذا فإن اجتهاداته ليست وحياً. وكان ذلك إيذاناً ببداية التشريع المدني الإنساني في ظلّ عصر ما بعد الرسالات، لكنّ هذا الاجتهاد ليس الاجتهاد الإنساني الأخير وليس الوحيد في عملية التفاعل مع الرسالة الإلهية، بل هو التنظيم الأول للواقع المعيش في شبه جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي على ضوء ظروف ذلك الزمان ومعطياته. والنبي (ص) تعامل مع التنزيل الحكيم من خلال السيرورة والصيرورة التاريخية البحتة للعرب في شبه جزيرتهم، أي في حدود التاريخ والجغرافيا يومها، ضمن مستواهم الاجتماعي والمعرفي، وضمن الإشكاليات التي كانت مطروحة أمامه، بحيث أسّس دولة مركزية، وحقق بذلك قفزة نوعية وقتها. وكان المرآة الصادقة الأولى لتفاعل التنزيل ككينونة في ذاته مع حقبة تاريخية زمنية معيّنة، ومجتمع معيّن قائم على أرض الواقع الإنساني الموضوعي المباشر. فالنبي



(ص) لم يكن فيلسوفاً ولا رجل فكر، بل كان رجل دعوة جاءه الفكر الموحى من المطلق وطبّقه هو في عالم نسبي محدود زمانياً ومكانياً بواسطة الاجتهاد فيه. بحيث كان المجتهد الأول في تعامله مع الفكر المطلق الموحى إليه وصاغ اجتهاده في قالب تطبيقي بوضع قانون مدني لمجتمعه وفق سيرورة وصيرورة تاريخية تحكم وجوده ووجود مجتمعه. ونحن على اقتناع بأنّ تطبيق النبي (ص) لآيات الأحكام جاء بمراعاة الواقع الذي كان يعيش فيه وهو تطبيق نسبي تاريخي، ما يدفعنا إلى إبطال القياس الذي وضعه الفقهاء في القرن السابع الميلادي، لأنّه لا يمكن قياس شاهد على غائب لاختلاف معطيات وظروف كلّ واحد منهما من الناحية الموضوعية ومن ناحية اختلاف المستوى المعرفي.
فالرسالة الإلهية جاءت خاتمة تحمل بين جنباتها المحكم (أمّ الكتاب) وتفصيلها الذي يُجتهَد في حقله لاستيعابه لكل الاجتهادات الإنسانية على مرّ العصور. ولذا فإنّ المبدأ الأهم في ممارسة عملية الاجتهاد هو الاعتماد على العقل باستعمال المنطق الواقعي حتى تظهر مصداقية أيّ اجتهاد إنساني في الواقع الموضوعي، ضمن النظام المعرفي المتّبع والإشكالية الموضوعية التي يواجهها، من خلال تقديم الأدلة والبيّنات على مطابقة (مصداقية) الاجتهاد في النصّ مع الواقع الموضوعي المباشر (الإشكالية) ضمن رابط بينهما هو النظام المعرفي المتبع.

١١- لقد أنزل الله سبحانه وتعالى الذكر بصيغته المنطوقة، ليبلّغ الرسول (ص) للناس ما أنزل إليه من ربّه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة ٦٧). أمّا البيان الذي جاء



في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم ٤)، فليس المقصود منه التفصيل كما فهمه البعض واسترسل البعض الآخر فيه حتى وصل إلى القول بحاكمية الخبر النبوي على نصّ التنزيل الحكيم ونسخه له، انتهاءً بأخطر نتيجة قد يصل إليها عقل هؤلاء، تتمثّل في أنّ القرآن أحوج إلى السنّة من حاجة السنّة إلى القرآن، سبحانه وتعالى عمّا يصفون. وإنّما المقصود بالبيان هو الإعلان وعدم الإخفاء، فالرسول (ص) جاء مبلّغاً للوحي وليست له أي علاقة بالصياغة اللفظية للتنزيل الحكيم كذكر (الإنزال) بل تنزَّل عليه مصوغاً جاهزاً (التنزيل)، كما لا علاقة له بمضمون ما تنزّل عليه من محرّمات وأوامر ونواهٍ. وبالتالي فنحن أمام نصّ إلهي موحى، صاغه الله تعالى بشكله المنطوق، فتنزلت هذه الصياغة على النبي، وتحدّدت مهمته كرسول في إعلانها للناس ببيانها وعدم إخفائها كلياً أو جزئياً وفي تبليغها لهم بلاغاً مبيناً، أي معلناً مذاعاً بشكل واضح وصريح دون زيادة أو نقصان وبيان الشعائر وتبليغ أحكام الرسالة. وقد قام محمّد (ص) بكلّ من مهمّته كنبي، ومهمّته كرسول على أكمل وأتمّ وجه. فقد كان (ص) الناطق لآيات الذكر الحكيم والله هو القائل لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم ٣-٥)، وقد أخطأ الشافعي عندما قال بالترادف بين النطق والقول في الآية فزعم أنّ السنّة وحي ثابت انطلاقاً من الترادف، فالوحي الوحيد هو ما جاء في كتابه عزّ وجل وهو الوحيد المقدّس باعتباره نصّاً إلهيّاً. وبما أنّ دوره (ص) كرسول جاء بإظهار ما أوحي إليه من نصوص التنزيل الحكيم وعدم كتمانها، وفي



إعلانها وإذاعتها على الناس، فإن أطروحة أن النبي (ص) شرح في سنّته القرآن هي أطروحة غير صحيحة. لأننا عندما نظرنا إلى السُوَر الطوال في التنزيل الحكيم كسورة الأنعام والأعراف وهود ويوسف ويونس... لنبحث ماذا قال النبي (ص) في شرحها، لم نجد شيئاً بخصوصه اللهم إلّا بعض جمل إن صحّت عنه. وعدم شرحه (ص) للقرآن، يؤكد لنا أنّه نبي، ويؤكد لنا أنه الخاتم، وأنّه ليس مؤلّف التنزيل الحكيم.

١٢- بالنظر إلى كلّ من آيات التشريع ذات الكينونة المطلقة (أمّ الكتاب وتفصيلها) والفقه الذي يمثّل تفاعل الناس وفهمهم للتشريع في فترة زمانية تاريخية معينة، نجد الفرق بينهما واضحاً جداً وبشكل لا يقبل الشك، انطلاقاً من كون الرسالة الخاتمة (أمّ الكتاب وتفصيلها) أبدية لأنها إلهية، بينما الفقه الذي هو عبارة عن اجتهادات إنسانية ظرفية إنساني تاريخي بحت. ونحن نؤكد أنه دون إدراك هذا الفرق الشاسع بينهما وأخذه في الاعتبار، لا أمل لشعوب أمّة محمّد (ص) في الخروج من المأزق الذي تتخبّط فيه منظومتها الفكرية، لأنّ الفرق بينهما سيجعل هذه الشعوب تدرك أنّ الفقه الإسلامي الذي بين أيدينا اليوم يمثّل القراءة الأولى والفهم التطبيقي الأول (التشخيص الأول) لنصوص الرسالة الإلهية (أمّ الكتاب وتفصيلها)، وهذا التطبيق جاء وفق ظروف معيّنة لتلك الفترة الزمنية وهو بذلك ظرفي ومتجاوز ولا يمكن أن يطلق عليه اسم "الشريعة" لأنّ هذه التسمية تُعدّ وهماً لا يمكن الاقتناع به، ما يستدعي ضرورة القيام بقراءة ثانية للنصوص الإلهية، خاصة ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين، على ضوء النظم المعرفية المعاصرة، وذلك باختراق أصول الفقه التي لا يمكن أن يتمّ



التطوّر والتقدّم إلّا باختراقها. لأنّ النصوص الإلهية بحاجة في كلّ مرّة لإعادة قراءة ثالثة ورابعة... حسب تغيّر الأزمان وتقدّم المعارف إلى أن تقوم الساعة، ولكلّ جيل أن يعيد قراءتها للاجتهاد لنفسه ضمن ظروفه ومعطياته ومتطلباته، وهي رسالة تستوعب كل الاجتهادات الإنسانية إلى قيام الساعة.

١٣- إن كان علماء الأصول قرّروا نظرياً مبدأ "تتغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان"، فإننا نقرّر نظرياً وعملياً بعونه تعالى: "أنّ الأحكام تتغيّر أيضاً بتغيّر النظام المعرفي"، ولا عجب أبداً إن انتهينا في قراءتنا المعاصرة لآيات الإرث في ضوء الرياضيات الحديثة إلى أحكام ونتائج تختلف عن مثيلاتها عند أهل القرن الثامن الميلادي. فالمسألة أولاً وأخيراً ليست مسألة ذكاء وغباء، ولا مسألة تقوى وعدم تقوى، بل هي بكل بساطة مسألة إشكاليات نعيشها ونظام معرفي نقف عليه، سمحا لنا بأن نرى ما لم يستطع السابقون رؤيته. ويجب أن يرى من يأتي بعدنا، بأرضيتهم المعرفية وإشكالياتهم المتطوّرة عنّا، ما لم نستطع أن نراه نحن ضمن إشكالياتنا ونظامنا المعرفي الحالي.

١٤- بما أنّ الرسالة الإلهية (أمّ الكتاب وتفصيلها) رسالة إلهية مجرّدة، فإنّ أيّ اجتهاد فيها ضمن تفصيلها هو تشريع إنساني مدني ضمن حدود الله، وبالتالي نجد الاجتهادات الإنسانية النابعة عن مختلف القراءات لتفصيل المحكم اجتهادات حنيفية، ما يسمح بظهور التعدّدية والاختلاف في الرأي في القضيّة الواحدة. وهذا الأمر يؤسّس لظاهرة الانتخابات والمجالس التشريعية والحدّ من مجال الفتوى ومجالس الإفتاء وإبقائها فقط ضمن حقل الشعائر دون أن تتعدّاه.



المصطلحات الواردة في التنزيل الحكيم
"حدّدوا مصطلحاتكم تستقِمْ أموركم"

الكتاب

وردت مفردة كتاب في التنزيل الحكيم بمعنيين حسب منهجنا القراءاتي المعاصر، وهما:

١- الكتاب بمعنى مجموعة المواضيع التي جاءت إلى النبي (ص) وحياً على شكل آيات وسور، ويتضمّن كلّ ما جاء بين دفّتي المصحف من سور ابتداءً من أول سورة الفاتحة وصولاً إلى آخر سورة الناس، وهو ما نطلق عليه اسم التنزيل الحكيم لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة ١٧٦). ويشتمل الكتاب على كلّ من النبوّة (القرآن والسبع المثاني)، والرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها) وعلى تفصيل الكتاب وهي الآيات التي تمثّل فهرس الكتاب.



٢- الكتاب بمعنى مجموعة آيات الرسالة فقط، وبهذا المعنى يشترك مع معنى الكتاب عند موسى وعيسى، فالكتاب عند موسى وعيسى هو التشريع فقط. بالنسبة إلى موسى نجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ٥٣)، وبالنسبة إلى عيسى نجده في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران ٤٨). وبهذا يشترك المؤمنون من أمّة محمّد (ص) مع اليهود والنصارى في كونهم من أهل الكتاب أيضا.

وقد جاء الكتاب بالمعنيين الأول والثاني في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ..﴾ (آل عمران ٧). فمصطلح الكتاب الوارد في المرة الأول جاء بمعنى الكتاب كله، وفي المرّة الثانية جاء بمعنى الرسالة فقط أي كتاب التشريع فقط.

الذِكر

هو الصيغة اللغوية المنطوقة والمتعبّد بها لكل آيات الكتاب بغضّ النظر عن فهم محتواها، وهي الصيغة التي تعهّد الله بحفظها لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر ٩). كما أنّ للذكر معانيَ أخرى وردت في التنزيل الحكيم.

القرآن

يمثّل القرآن نبوّة محمّد (ص) لهذا ذُكر مع كلّ من التوراة



والإنجيل في قوله تعالى: ﴿... وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ...﴾ (التوبة ١١١)، ويمثّل مجموع الآيات المتشابهات (آيات النبوّة وتفصيلها) التي تتحدّث عن القوانين الكونية التي تتحكّم في الكون بما فيه من نجوم وكواكب وزلازل ورياح ومياه في الينابيع والأنهار والبحار...، وعن قوانين التاريخ والمجتمعات التي تحكم نشوء الأمم وهلاكها، وعن غيب الماضي من خلق الكون وخلق الإنسان وأنباء الأمم البائدة (القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي)، وعن غيب المستقبل كقيام الساعة والنفخ في الصور والحساب والجنّة والنار. والقرآن جاء من فعل قرن لأنّه قرن القانون العام للوجود مع القانون الخاصّ له مع خط تطوّر سير التاريخ الإنساني، وهو بذلك قرن بين معلومات اللوح المحفوظ ومعلومات الإمام المبين، ويُعدّ الجزء الأكبر من الكتاب ولا يوجد فيه تشريع إطلاقاً. ولأنه فرّق الله عزّ وجلّ فيه بين الحق والباطل في الوجود سمّاه "القرآن العظيم" في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر ٨٧). والقرآن مضافاً إليه السبع المثاني يمثّل جزء النبوة من التنزيل الحكيم.

اللوح المحفوظ

بما أنّ القرآن المجيد هو القوانين الصارمة الناظمة للوجود، فإنّ اللوح المحفوظ هو بمثابة برنامج هذه القوانين لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج ٢١-٢٢). وهذا البرنامج بقوانينه الصارمة التي تسيّر الوجود هو برنامج ثابت ولا يتغير، لا



هو ولا قوانينه، وبالتالي لا ينفع فيه الدعاء لأنّه لا يتغيّر من أجل أحد مهما كان.

السبع المثاني

هي جزء من نبوّة محمّد (ص) أي جزء من القرآن. وهي مقاطع صوتية وردت في فواتح السور، مثل: (ألم - ألمص - كهيعص - حم - طسم) تتألف من أحد عشر مقطعاً صوتياً تمثل القاسم المشترك في الكلام الإنساني. وقد أشار إليها النبي (ص) في قوله باسم "جوامع الكلم"، ووردت في الكتاب باسم "أحسن الحديث": ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ (الزمر ٢٣). وتشكّل السبع المثاني مع القرآن كتاب النبوّة، إذ بهما وقع الإعجاز والتحدّي في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر ٨٧).

الحديث

هو أنباء مجموعة آيات الأحداث الكونية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية ١)، والأحداث الإنسانية سواء ما غاب منها في طيّات الماضي، أو ما حصل في زمن النبي (ص) من حروب وهجرة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ (يوسف ١١١). وهذه الآيات ليس فيها أحكام ولا تشريعات لأنها جزء من القرآن أي من نبوة محمّد (ص)، ذلك لأن القرآن كما رأينا قرن بين الأحداث الكونية



والأحداث الإنسانية، وهو قابل للتصديق والتكذيب فقط: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ...﴾ (القلم ٤٤).

الكتاب المبين

هو مجموع آيات القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي، أي هو مجموع الآيات التي تتطرّق إلى أنباء غيب الماضي وإلى أخبار القصص المحمّدي، لأن آيات القصص المحمّدي بما فيها من آيات القتال كانت أخباراً بالنسبة لمن عاصر النبي (ص) لكنّها تحوّلت إلى أنباء عن الماضي لمن بعدهم من العصور. ورد الكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف ١-٣).

الإمام المبين

هو أرشيف الإنسانية من يوم خلقها الله عزّ وجلّ إلى يوم الدين، أي أرشيف الأحداث التاريخية الإنسانية الفردية والجماعية إلى قيام الساعة، ومنه جاء الكتاب المبين (القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي). تمت فيه أرشفة الأحداث الإنسانية بعد حدوثها وتحوّلها إلى واقع لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس ١٢).



مواقع النجوم

هي الفواصل الموجودة بين آيات الكتاب، سواء جاز الوقف عندها أو لم يجز، وليست مواقع النجوم التي في السماء. هي من مفاتيح فهم الكتاب كله خصوصاً بالنسبة للقرآن في عملية تأويله، لأن مواقع النجوم في الكتاب تجعل كلّ آية من آيات الكتاب تحمل فكرة متكاملة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة ٧٥-٧٧).

البيان

هو عكس الكتمان ولاعلاقة له بالشرح إطلاقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل ٤٤). وقد أعلن الرسول (ص) كلّ ما أُنزل إليه من وحي ولم يكتم شيئاً، إذ أعلنه صوتيّاً بمعنى نطقه بنفسه أمام الناس، لكن دون أن يشرح شيئاً منه، ومعنى ذلك أنّ مهمّة البيان أوكلت إليه (ص) ونحن علينا مهمّة التفكير في معانيه.

البلاغ

هو أن يصل ما يريده المتكلم إلى السامع، ومنه البلاغة التي تكون في



القول لقوله تعالى: ﴿... وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء ٦٣). لا علاقة للبلاغة بالجمال اللفظي وهي على مستويات، بحيث نجد أقلّ مستوى لها هو لغة الصم والبكم وهي لغة الإشارة: ﴿... قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّام إِلَّا رَمْزًا...﴾ (آل عمران ٤١)، ثمّ ترتقي مستوياتها حتى تصل إلى أعلى الأنواع الذي نجده في التنزيل الحكيم، لأنّ البلاغة فيه جاءت بحيث يصل المعنى للسامع أو القارئ بأقلّ عدد من الكلمات وعدم وجود الترادف والحشويّة لقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾ (المائدة ٩٩)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ (المائدة ٦٧).

تفصيل الكتاب (فهرسة الكتاب)

هو مجموع الآيات التي وجدنا أنّها تمثّل مقدمة كتاب الله عزّ وجلّ. وهذه الآيات تقدّم لنا فهرسة الكتاب كله، بحيث ترشدنا للمواضيع التي تمّ التطرّق إليها في التنزيل الحكيم. وهي ليست من الآيات المحكمات ولا تفصيلها بمعنى أنها ليست من آيات الرسالة (أي ليست من آيات أمّ الكتاب ولا من تفصيلها) لأنّه ليس فيها أيّ تشريعات. كما أنها ليست من آيات النبوّة بمعنى أنها ليست من الآيات المتشابهات ولا من تفصيلها (أي ليست من آيات القرآن وتفصيله ولا من آيات السبع المثاني) لأنّه ليس فيها أيّ قوانين كونيّة أو أحداث إنسانيّة. وآيات تفصيل الكتاب وصف تفصيلي للتنزيل الحكيم، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ (البقرة ٢)،



وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس ٣٧). وقد جاءت من عند الله مباشرة، لا من اللوح المحفوظ شأن الآيات المتشابهات ولا من الكتاب المبين شأن القصص القرآني.

الترتيل

هو جمع الآيات ذات الموضوع الواحد في رتل. مثل ترتيل الآيات التي تتعلق بموضوع آدم أو خلق الكون. والترتيل يكون لمواضيع القرآن فقط لقوله تعالى: ﴿... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزّمّل ٤). وتأتي عملية تأويل مواضيع القرآن بعد ترتيلها. أمّا مواضيع الرسالة فليس فيها ترتيل لأنّ مواضيعها مصنّفة حسب المحكم وتفصيله. فكلّ آية محكمة تؤخذ مع تفصيلها: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود ١). وتخضع آيات الرسالة لعملية الاجتهاد بعد فرز المحكم وتفصيله.

النبأ

هو المعلومة التي تحتمل الحقيقة والوهم لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود ١٢٠). وخصائص النبأ أنه إجمالي مختصر، وهو غيب سواء غيب ماض أو حاضر أو مستقبل، وتنتفي الحضورية في النبأ لأنّ له منبّئاً به وليس له مخبر به. وكان



النبي (ص) حاملاً لأنباء ولم يكن مخبراً لأخبار. والإنباء يأتي من مقام النبوّة لا من مقام الرسالة. والقرآن هو كتاب نبوّة محمّد (ص) وفيه القصص القرآني وهي من أنباء الماضي لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ...﴾ (طه ٩٩). كما فيه أنباء المستقبل من قيام الساعة والجنّة والنار... لقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ (القمر ٤).

الخبر

هو المعلومة التي تحتمل الصدق والكذب والخطأ والصواب لأنّ للخبر مخبراً به. والخبر تفصيلي مطوّل على عكس النبأ. ولا بدّ من أن يكون راوي الخبر حاضراً يشهد وقوعه بعينيه لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (النمل ٧).

الفرقان

هو الوصايا العشر عند موسى ومحمّد (ص) والحكمة عند عيسى، ويمثّل الصراط المستقيم في التنزيل الحكيم. ورد في الآيتين (١٥١-١٥٢) في سورة الأنعام بحيث ختم الله عزّ وجلّ هاتين الآيتين بعد ذكر الأمور التي تمثّل الصراط المستقيم فيهما بالآية ١٥٣ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. والصراط المستقيم من الآيات المحكمات (من أمّ الكتاب).



التوراة

يمثّل نبوّة موسى، وفيه جاء ذكر الكونيّات والقصص دون أحكام، وجاء متناسباً مع مستوى وعي الناس زمن وحيه إلى موسى، لذا ما جاء فيه من معلومات بدائيّة جدّاً ولا تتناسب مع مستوى وعي الناس الحالي. وقد نزلت الأحكام لموسى مستقلة في الكتاب (شريعة موسى) وفي الألواح (الوصايا العشر)، وفصل الله عزّ وجلّ بين كتاب موسى والوصايا العشر لأنها كانت ستنتقل إلى مَن بعده من الرسل (عيسى ومحمّد) كما هي.

الإنجيل

يمثّل نبوّة عيسى، ولا توجد فيه أيّ أحكام، لأنّ كتاب الشريعة عند عيسى هو ذاته كتاب الشريعة عند موسى معدّلاً لقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران ٤٨).

أهل الكتاب

هم اليهود والنصارى لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران ٦٥). والكتاب المقدّس بقسميه العهد القديم والعهد الجديد يتألف من: الكتاب (الشريعة) + الحكمة (الوصايا) + التوراة (نبوّة موسى) + الإنجيل (نبوّة عيسى). فالكتاب عند موسى



وعيسى هو آيات الأحكام فقط أو ما يقال عنها الشريعة: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ٥٣)، وأوحي إلى محمّد (ص) منطوقاً لا مخطوطاً وخطّه الناس. وكتاب عيسى هو أيضاً ما جاء لعيسى من شريعة لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران ٤٧-٤٨). فكتاب موسى يختلف عن التوراة وكتاب عيسى يختلف عن كلّ من التوراة والإنجيل لأنّ التوراة يمثّل نبوّة موسى والإنجيل يمثّل نبوّة عيسى وليس فيهما أيّ أحكام.

الإسلام

هو الإيمان تسليماً بوجود الله وباليوم الآخر وأداء العمل الصالح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢). فالإيمان بالله هو التسليم بوحدانيته والتصديق بنبوّات الأنبياء ورسالات الرسل كل في زمانه. فهناك من صدّق بنبوّة نوح أو إبراهيم أو يعقوب: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٣)، وهناك من صدّق بنبوّة موسى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ



فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس ٩٠)، وهناك من صدّق بنبوّة عيسى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢)، كما هناك من صدّق بنبوّة محمّد (ص): ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الأنبياء ١٠٨). فكلّ هؤلاء يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقد سمّاهم التنزيل الحكيم "المسلمين" على اختلاف مللهم. ولهذا فإنّ شهادة أنْ "لا إله إلا الله" هي تذكرة الدخول إلى دين الإسلام مهما كانت ملّة الإنسان. والإسلام يُبنى على العمل الصالح بعد الإيمان تسليماً بوجود الله وباليوم الآخر، وقد جعل الله الإيمان به مسلّمة لا يمكن البرهان عليها علمياً أو دحضها علمياً، لذا فهي خيار وقناعة يتساوى فيهما أينشتاين وبائع الطعمية، وفيها تظهر عدالة ربّ العالمين، إذ يجب على المسلم أن يكون عنده ذرة شكّ في وجود الله، والملحد عنده ذرة شكّ في الإلحاد، وهذا الشكّ هو الدافع الأساسي وراء تقدّم المعارف الإنسانية قاطبة، ومبدأ الشك هذا وضعه إبراهيم عليه السلام. أمّا العمل الصالح فيرتكز على القيم الإنسانية وعلى رأسها الوصايا العشر (الفرقان) المذكورة في سورة الأنعام التي خضعت للتراكم بين الرسالات. كما يُبنى الإسلام على التشريع الذي خضع للتطوّر وانتهى بالتشريع الحنيفي المتغيّر (الحدودي)، وعلى الشعائر التي خضعت للاختلاف.



الإيمان

هو الإيمان بنبوّة محمّد (ص) بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، أي إنّ الإيمان بالنبي (ص) يأتي بعد الإسلام، ويتجلّى في شهادة أنّ "محمّداً رسول الله" لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمّد ٢)، وقد سمّاهم الله في كتابه "المؤمنين". وأركان الإيمان بنبوّته (ص) هي أداء الشعائر (الصلاة والزكاة، الصوم، الحج) لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون ١-٤)، وهم بذلك "مسلمون مؤمنون"، فهم مسلمون لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقومون بالعمل الصالح، ومؤمنون لأنّهم يؤمنون بنبوّة محمّد (ص) ويؤدّون الشعائر. وبذلك هم ينطقون بالشهادتين: إذ بالأولى صاروا مسلمين، وبالثانية صاروا مؤمنين. ومصطلح "مؤمنون" أصبح وقفاً على أتباع ملّة محمّد (ص) فقط في التنزيل الحكيم لأنّ مصطلح "المؤمنون" في زمن كلّ نبي يطلق على من يؤمن به حصراً. ولمّا جاء الوحي للنبي (ص) أطلق مصطلح "المؤمنون" على كل من آمن به (ص) وسمّى المؤمنين بموسى "اليهود" والمؤمنين بعيسى "النصارى". فأصبح مصطلح "المؤمنون" لقباً خاصاً بأتباع محمّد (ص) في التنزيل.



الإجرام

هو قطع الصلة بالله وبالقيم الإنسانية. بإنكار وجود الله وإنكار اليوم الآخر، والامتناع عن القيام بالعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (المدّثر ٣٩-٤٦). فالمجرم هو الذي يقطع صلته بالله بعدم إيمانه بوجوده وباليوم الآخر ويقطع صلته بالمجتمع بعدم الالتزام بالقيم الإنسانية.

الشرك

هو الإيمان بمبدأ الثبات. ولا يلزم في الشرك أن يكون علنياً. وللشرك أنواع عديدة أسوأها شرك التجسيد الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٤٨). والشرك بالله هو أن يجعل الإنسان لله شريكاً في العبادة والدعاء. والشرك لسان حال وليس لسان مقال لأنّه لا يوجد إنسان في الأرض قال أو يقول عن نفسه إنه مشرك. فالشرك هو السكون في الفكر والتوقف عن التطوّر كما جاء في قوله تعالى على من أنكر التغيّر وآمن بالثبات: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف ٣٥). والثبات على مبدأ الآبائية هو أيضاً شرك كما جاء في قوله تعالى: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف ٢٣).



الكفر

هو موقف علني واع ضد أمر ما، والكفر لسان مقال أي تصرّف وموقف عدواني. فالكفر صفة إضافية لصفة الشرك فالكافر مشرك معلن عن شركه قولاً أو عملاً في قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف ٣). والكفر جاء معنىً مقيّداً دائماً بالموقف المعبّر فيه عن الكفر، أي بتوضيح الكفر بماذا؟ فالكافر بالله هو المشرك به والمعلن عن ذلك بلسان مقال، والكافر بنبوّة محمّد (ص) ورسالته هو كلّ من اتّخذ موقفاً علنياً عدائياً ضدّه (ص) بتكذيبه ومعاداته والتآمر عليه ومحاربته لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال ٣٠)... وفي الحروب يصبح وصف "الكافر" وصفاً يتراشق به الطرفان المتحاربان، فكلّ طرف يطلق على الطرف الآخر لقب "كافر" لأنّه أظهر العداء له، لهذا قال الله تعالى للمؤمنين من أتباع الرسول عن خصومهم الذين حاربوهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال ١٥). وحتّى موقعة الجمل حصلت بين فئتين كافرتين، لأنّ كلّ واحدة منهما كفرت بأحقية الأخرى في السلطة.

الرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها)

هي الآيات التي تشتمل على آيات أمّ الكتاب (الكتاب المحكم)



وعلى آيات تفصيلها لقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود ١). وقد أصبح محمّد (ص) رسولاً بالكتاب المحكم (أمّ الكتاب) وتفصيله. وكتاب الرسالة بمحكمه وتفصيله يحتمل الطاعة والمعصية لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران ١٣٢)، وهو الذي أطلق عليه التنزيل الحكيم مصطلح كتاب كمعنى ثانٍ للكتاب كما هو عند موسى وعيسى.

الآيات المحكمات (أمّ الكتاب)

هي جزء من الرسالة، وهي آيات الكتاب المحكم وتمثّل آيات أمّ الكتاب لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ...﴾ (آل عمران ٧)، وعددها (١٩) آية في الكتاب حسب ما توصّلنا إليه في بحثنا، وقد جاء تفصيلها في الرسالة. وآيات أم الكتاب (١٩) آيات مغلقة لأنّها لا تخضع للاجتهاد. وجاءت مواضيعها حول المحرّمات والأوامر والنواهي والحدود والشعائر والقيم.

آيات تفصيل أم كتاب

هي جزء من الرسالة، وهي آيات تفصيل الآيات المحكمات أي تفصيل آيات أمّ الكتاب وعددها يزيد عن ٩٩٣ آية دون تكرار كما توصّلنا إليه بعد الدراسة والبحث، ونرى أنّه عدد قابل للتعديل لأنه جاء نتيجة بحث



تم القيام به لأول مرة في تاريخ الرسالة المحمّدية. جاء في آيات تفصيل أمّ الكتاب تفصيل مواضيع المحرّمات والأوامر والنواهي والحدود والشعائر والقيم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف ٥٢).

الآيات المتشابهات

هي آيات القرآن مضافاً إليها السبع المثاني، وهي الآيات الشارحة للقوانين الكونية والإنسانية، التي أصبح بها محمّد (ص) نبيّاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ (آل عمران ٧)، فالقرآن من المتشابهات مضافاً إليه السبع المثاني التي هي أحسن الحديث: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ...﴾ (الزمر ٢٣). وهذه الآيات تحتمل التصديق والتكذيب. وجزء منها فقط قابل للتأويل من خلال آيات تفصيلها.

آيات تفصيل المتشابه

هي الآيات التي فُصّلت فيها بعض الآيات المتشابهات الموجودة في القرآن فقط لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت ٣)، لأنّ السبع المثاني لا تفصيل لها. وهناك جزء من آيات القرآن لا تفصيل لها لأنّه لا يمكن تأويلها مثل قصّة خلق آدم وبداية الكون ونهايته لقوله تعال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ



يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (الأعراف ٥٣). والقصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي هو آيات تفصيل للأحداث التاريخية في القرآن.

الناسخ والمنسوخ

النسخ هو استبدال حكم ورد في رسالة سابقة بآخر أيسر منه في رسالة لاحقة. فقد ينتقل بند من بنود شريعة ما كما هو إلى شريعة تالية (الفرقان)، أو يُعدَّل كحكم الزنا بالرجم عند موسى الذي تحوّل إلى حكم الجلد كحدّ أعلى عند محمّد (ص)، أو يُلغى كحكم قتل الولد العاق في شريعة موسى، أو يضاف بند جديد كالإرث في الرسالة المحمّدية. أمّا بين آيات التنزيل الحكيم فلا ناسخ ولا منسوخ لأنّ الرسالة المحمّدية هي الرسالة الخاتم وجاءت رحمة للعالمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧)، خُفّفت فيها العقوبات التي كانت في الرسالات السابقة لها: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ (الأعراف ١٥٧). والرسالة المحمّدية هي المرحلة الانتقالية بين انتهاء الوحي الإلهي وانتهاء التشريع الإلهي وختمه بتوقف النسخ بين الرسالات الإلهية، وبداية التشريع الإنساني الحنيفي بالاجتهاد في تفصيل المحكم الذي



جاء في الرسالة الإلهية الخاتمة. يتم النسخ بين التشريعات الإنسانية حسب تطوّر التاريخ وتطوّر الظروف الموضوعية للمجتمعات. والتشريع والنسخ الإنساني مهمّة البرلمانات والمجالس التشريعية. وأول تشريع إنساني واجب نسخه هو اجتهادات النبي (ص) التي قام فيها بتنظيم مجتمعه (قانون مدني) حسب ظروف التطوّر التاريخي لمجتمعه بدون أن يخالف التشريع الحنيفي الذي جاء في الرسالة الإلهية الموجودة في المصحف. واجتهاداته واجبة النسخ بعده لأنها أصبحت بعده اجتهادات متجاوزة معرفياً وتشريعياً.

جاء (المجيء)

المجيء بالشيء هو إحضاره. وإحضار الشيء يكون من خارج دائرة من جاء به لقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم ٤٣). فالفرق في الآية واضح بين جاء وأتى، لأنّ العلم جاء لإبراهيم من ربّه أي من خارج دائرة إبراهيم المعرفية وهذا العلم غير موجود داخل الدائرة المعرفية لوالده. فالرسول (ص) جاءه الوحي من الله أي من خارج دائرته المعرفية وهذا الوحي مقدّس وأبدي، أمّا اجتهاداته (ص) في التشريع فقد أتى بها من داخل دائرته المعرفية وهي ظرفية مرحلية قابلة للنسخ.

آتى (إيتاء)

إيتاء الشيء هو إعطاؤه. وإيتاء الشيء المعطى يكون من داخل دائرة



المعطي، لأنّ إيتاء الشيء يتطلّب أولاً امتلاكه قبل إعطائه لقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء ٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (المزمل ٢٠). فقوله تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾ (الحشر ٧) يعني ما أعطاكم الرسول من عطاء من عنده، أي ما صدر عنه من اجتهادات إنسانية متعلقة بالتشريع لمجتمعه في حياته باعتباره قائداً أعلى له ولا علاقة للأمر بالوحي. وفي هذه الاجتهادات كانت الطاعة واجبة على أهل زمانه فقط من أفراد مجتمعه. علماً بأنّ فعل أتى من نفس جذر فعل آتى لكن يختلف معه في المعنى، بحيث إنّ فعل أتى من الإتيان وهو فعل مجرّد يقع على الفاعل بينما فعل آتى فمن الإيتاء وهو فعل مزيد ويقع على المفعول لا على الفاعل، فآتى الإنسان شيئاً بمعنى أعطاه لغيره، بينما أتى الإنسان معناه حضر بنفسه كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٨٨-٨٩).

أولو الأمر

هم ممثّلو السلطة التشريعية في المجتمع لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..﴾ (النساء ٥٩). وتكون طاعتهم واجبة على أفراد مجتمعاتهم في حياتهم فقط في ما يملونه عليهم من تشريعات (قوانين) تكون سائدة في حياتهم فقط. فطاعة النبي (ص) في ما صدر عنه من تشريعات كانت لازمة على أفراد مجتمعه في حياته فقط باعتباره كان وليّ أمر مجتمعه في ما



أتاهم به من تشريعات (قانون مدني). لهذا جاءت طاعته كوليّ أمر منفصلة عن طاعة الله ومتّصلة بالمقابل بطاعة أولي الأمر، لأنّ الطاعة تكون للقانون فقط. فأولو الأمر هم الذين يمثلون السلطة التشريعية في أيّ مجتمع وبالتالي فإنّ الطاعة واجبة للتشريعات التي يسنّونها لا لأشخاصهم. وتشريعاتهم تقوم على ما يُطلق عليه "تقييد المطلق وإطلاق المقيّد"، ومعناه تنظيم الحلال بالأمر والنهي وهو ما يُعرف الآن بـ"القانون المدني".

الفطرة

تعبّر عن شيء له بداية ولم ينضج بعد لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ (فاطر ١)، هنا جاءت بمعنى أنّ الكون محدث وغير قديم. وبهذا المعنى جاءت الفطرة في الإنسان لأنه اكتسبها مع عمليّة الأنسنة (نفخ الروح)، وتمثّل القيم الإنسانية التي خضعت للتراكم وسنّة التغيّر في كلّ شيء في الكون بما فيها القوانين والتشريعات. ومن نتاجها التعدّدية التي بدأت بقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ...﴾ (البقرة ٢١٣). والفطرة لها علاقة بالحنيفية كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام ٧٩)، وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠).



الحنيفيّة

هي صفة التغيّر بما في ذلك التغيّر في التفكير والتشريع والتقاليد والعادات، أي كلّ "المتغيّرات"، لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠)، في ظلّ الثوابت التي لا تخضع للتحوّل "مستقيمة" والتي لا تخرج عنها المتغيّرات. هذه الثوابت هي "الصراط المستقيم" أي القيم الإنسانية بما فيها من محرّمات ونواهٍ وحدود الرسالة الإلهية. وعلى ضوء هذه الثوابت يحنف الإنسان في التشريع أي يغيّر تشريعاته بالأخذ في الاعتبار المتغيّرات. تجسّد الحنيفية خاصّية العالمية في الرسالة الإلهية بتماشيها مع المتغيّرات حسب الزمان والمكان رحمة بالناس لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧). فأوّل من اكتشف مبدأ التغيّر (الحنيفية) هو إبراهيم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام ٧٩)، أي اكتشف أنّ كلّ شيء متغيّر ما عدا الله. فالثابت هو الله فقط، وفي التشريع، الثابت عندنا هي المحرّمات الـ ١٤ التي جاءت مختومة في الرسالة المحمّدية وهي حصراً من عند الله، علماً بأنّ تشريع موسى وعيسى لم يكونا حنيفيين لذا ألغيا الآن تماماً. وقد انتقلت الحنيفية من إبراهيم إلى محمّد (ص). الحنيفية تشجع التعددية مهما كان نوعها، لذا فإنّ الأحادية لله وحده عزّ وجلّ وهي الباقية أما التعددية في لغير الله وهي متغيرة دائما، وأي أحادية في أي مجتمع مهما كان نوعها فهي ضد الحنيفية لأنها ضد الفطرة



وفرضها يتم بالإكراه والعنف، لهذا فإن أي مجتمع يقوم على الأحادية مجتمع سكوني جامد لا يمكن أن يتطور ومصيره إلى الهلاك.

الملّة

هي صفة الثبات في السلوك لا في الاعتقاد، أي الثبات في ممارسة الشعائر، وبسبب هذا الثبات في السلوك فإنّ الملل تختلف بعضها عن بعض وتتعدّد، إذ نجد أنّ هناك: الملة اليهودية، الملة المسيحية، الملة المحمّدية... وقد ذكر التنزيل الحكيم اختلاف الشعائر في الملل ولم يلغ أيّاً منها، ففي الملة المحمّدية جاءت الشعائر (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحجّ) مع البعثة المحمّدية وظلت ثابتة كما هي من يومها حتى الآن، وكذلك شعائر الملّتين اليهودية والنصرانية كانت وما زالت ثابتة إلى يومنا هذا. أمّا التشريع في الرسالة المحمّدية فهو حنيفي متطوّر لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠)، أي يقوم على خاصّية التطوّر في التشريع "الحنيفية" وتبقى المحرمات هي الثوابت. والحنيفية ملّة إبراهيم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء ١٢٥). وقد ألغت الرسالة الخاتمة تشريع الملة اليهودية والنصرانية لأنّه تشريع ثابت لا يتّصف بالحنيفية، وجاءت بالحنيفية في التشريع، وعن هذا الأمر تحديداً جاء قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾ (البقرة ١٢٠).



الظلم

هو وضع الشيء في غير محلّه، وعموماً هو الوقوع في الوهم، فالذي يعطي أجراً لإنسان دون المستحقّ فهو يظلمه بذلك لأنّه ظنّ أنّه لا يستحق أكثر. وهذا هو المعنى العامّ للظلم، فمن يقدّس مظاهر الطبيعة يظلم نفسه لأنّه يقع في الوهم بأنّ مظاهر الطبيعة تضرّ وتنفع. وكذلك من يقدّس الأصنام والتماثيل، والاعتقاد بثبات الظواهر والمجتمعات يُعدّ ظالماً لنفسه لأنّه وقع في الوهم وفي نفس الوقت ظلم غيره باعتقاده كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف ٥٩)، لأنّه لا يمكن أن يهلك القرى إلّا إذا توقّفت عن الحركة والتطوّر في هذا الكون المتحرّك. وقد ورد مصطلح الظلم كثيراً في التنزيل الحكيم، لذا علينا أن نفهم المعنى المقصود منه ضمن الموضوع الذي ذكر فيه.

التمام والكمال

التمام هو اكتمال المستمرّ دون انقطاع. فالصيام مثلاً يجب إتمامه دون انقطاع لقوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ...﴾ (البقرة ١٨٧). أمّا الكمال فهو اكتمال المتقطع كما هي حال الرضاع لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾ (البقرة ٢٣٣). فالرضاع يتمّ على فترات متقطعة على عكس الصيام في اليوم



الواحد الذي يكون مستمرّاً. ونجد المصطلحين معاً في قوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ (المائدة ٣)، إذ بالنسبة لقوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يُفهم منه أنّ الله عز وجلّ أكمل في الرسالة المحمّدية دينه الذي جاء متقطعاً حسب فترات بعث الأنبياء والرسل، وبالنسبة لقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ يُفهم منه أنه أتمّ نعمته على عباده التي لم تنقطع يوماً منذ خلقهم.

الحرام (SIN)

هو حكم شامل أبدي ثابت بالمنع الذي لا رخصة فيه، خصّ به الله عزّ وجلّ نفسه حصراً لأنّه يمثّل حاكمية الله. والحرام لا يتغيّر إلّا بإرسال رسول جديد عنده بيّنات من ربّه. والمحرّمات في حقيقتها قيود تكبّل السلوك الإنساني، كانت في رسالة موسى كثيرة لكن على شكل أوامر ونواه، ثم صارت في رسالة محمّد (ص) محرّمات ختمت وحصرت بالعدد (١٤) محرّماً فقط مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ (البقرة ١٨٥)، بحيث جاء أحد المحرّمات في تحريم التقوّل على الله أي إضافة محرّمات إلى محرّماته أو تحليل أحد محرّماته لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف ٣٣)، فالتقوّل على الله محرّم ويأتي من ضمنه إضافة محرّمات إلى محرّمات الله أو تحليل محرّماته لقوله



تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل ١١٦). والاجتهاد الإنساني يكون في تفصيل المحرّمات الـ١٤ فقط كما جاء في الرسالة وفي تقييد الحلال لأنّ الحلال لا يمارس إلّا مقيّداً.

الفواحش

هو جمع مفرد فاحشة. وهي كلّ ما يُكره فعله أو قوله، أي كلّ ما تأنفه الفطرة الإنسانية السليمة التي لم يَشُبْها أيّ خلل، وله علاقة بالجنس لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ...﴾ (آل عمران ١٣٥)، والفواحش من المحرّمات لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ (الأعراف ٣٣). وعدد الفواحش ست (٦) هي: نكاح المحارم، نكاح المتزوّجة، الزنا (الجنس العلني)، السفاح (الجنس الجماعي)، المثلية الجنسية (الأخذان)، ونكاح ما نكح الآباء (الأصول من جهة الأب والأمّ مهما علت بمن فيهم الأعمام والأخوال). والفواحش قسمان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة هي: نكاح المتزوّجة والزنا والسفاح ونكاح ما نكح الأب. والباطنة هي: نكاح المحارم والمثلية الجنسية. والفواحش باطلة كلّها حتى لو قونَنْتها المجالس التشريعية والبرلمانات.



الخمر

هي كلّ شراب وصل بشاربه إلى حدّ السكر بغضّ النظر عن طريقة تناوله (الفم، الحقن، الشم...)، بحيث لا يعلم ما يقول ولا يميّز ما يفعل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ (النساء ٤٣). وقد سُمّيت الخمر خمراً لأنها تغطي بخمارها (السكر) على العقل. والسُكر لا علاقة له بالكمّية المشروبة وبعدد الكؤوس لاختلاف البشر بعضهم عن بعض. والسكر هو رجس الخمر المنهيّ عنه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة ٩٠).

الرجس

هو الاختلاط في الأمور أو ما يسمّى باللغة الإنجليزية (confusion)، فرجس الخمر هو السكر حيث وصفه التنزيل الحكيم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ (النساء ٤٣). ورجس الأوثان أن تختلط عليك الأمور بأن تظنّ أنّ الأوثان تنفع أو تضر، فالأوثان ظاهرة عامّة وتشمل:

١- عبادة وتقديس ظواهر الطبيعة من رعد وبرق ونار... وتقديس الكواكب والقمر والنجوم...

٢- تقديس مجسّمات لا تعبّر عن شيء بعينه كمزيج بين جسم إنسان ورأس حيوان أو العكس. وهذه من الأصنام، فمثلاً أصنام



الكعبة قديماً لم تكن مجسّمات تمثّل أحداً بعينه.

٣- التماثيل: كأن تصنع تمثالاً لشخص بعينه مثل تمثال سعد زغلول بمصر.

بالنسبة للوثنية المرتبطة بمظاهر الطبيعة، ولأنّه لا يمكن إزالة هذه المظاهر من الوجود، فقد قال تعالى بشأنها: ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ...﴾ (الحج ٣٠) بمعنى اجتناب أن تختلط عليكم الأمور فيها فتظنوا أنها تنفع وتضرّ. وقد تطوّر مستوى وعي الإنسان في العصر الحالي بحيث أصبح يدرك أنّ مظاهر الطبيعة لا تنفع ولا تضرّ، وكذلك أصبح يدرك أنّ التماثيل التي تمثّل رموزاً وطنيّة أو منحوتات تاريخيّة لا تنفع ولا تضرّ، وبالتالي لا ضرورة من إزالتها، لأنّ الاختلاط في الأمور (الرجس) بشأنها لم يعد موجوداً كما كان في السابق. وبالتالي تحريم النحت والرسم لا مبرّر له نهائياً، وكذلك وضع الرموز المنحوتة كتمثال الحرّية مثلاً، لا علاقة له بالحرام إطلاقاً.

اجتنبوا

يأتي هذا الفعل في التنزيل الحكيم للظواهر التي نواجهها مباشرةً دون أن نقصدها، كأن تقول لإنسان يقود السيارة "اجتنب الحفر في الطريق" أي إنّه سيصادفها في طريقه دون أن يقصدها. ومثالها ظواهر الطبيعة من نجوم وكواكب وقمر ورعد وبرق ونار... التي علينا اجتناب الرجس فيها أي الاعتقاد بأنّها تملك قوى خارقة تستطيع أن تنفعنا وتضرّنا بها: ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ



الْأَوْثَانِ...﴾ (الحج ٣٠). واجتناب قول الزور الوارد في قوله: ﴿... وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ...﴾ (الحج ٣٠) معناه اجتناب اللغو في القول كأن تمدح أو تذمّ بضاعة أو نحوها، ويختلف عمّا جاء في قوله تعالى: ﴿... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾ (الأنعام ١٥٢)، فالمقصود في هذه الآية هو الإدلاء بالشهادة في القضاء لذا طلب العدل فيها. أمّا الخمر بمعناه العامّ فشائع استعماله في العالم بأسره بحيث نصادفه دون أن نقصده بحيث يمكننا أن نصادفه دون أن نقصده، وبالتالي اجتناب رجس الخمر بمعنى اجتناب السكر فقط، وهو الإثم بغير الحقّ، أمّا السكر من أجل التخدير في العمليات الجراحية فهو إثم بحقّ.

لا تقربوا

تُستعمل للأمور التي نقصدها عن سابق إصرار ووعي مثل الفواحش فإننا لا نصادفها دون قصد بل نقصدها في مظانّها: ﴿... وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ (الأنعام ١٥١). وكذلك الأمر بالنسبة لمال اليتيم فإنّك تقصده لأخذه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ (الأنعام ١٥٢)، فنحن نعلم أنّه مال اليتيم ولا نصادفه في أيّ تعامل مالي.

الإثم

له معنى عام هو التخلّف عن الشيء، نقول أثمت الناقة أي تخلّفت في



المسير عن غيرها. وقد جاء الإثم والبغي بغير حق كأحد المحرّمات لأنّ اقترافهما تخلف عن العمل الصالح. فقولنا لأحدهم لا إثم عليك إذا قام بعمل ما، بمعنى أنه لم يتخلف في الثواب أو في العمل عمّن لم يقم به والعكس صحيح. فالسكر فيه إثم كبير: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾ (البقرة ٢١٩)، لأنّ من سكر يتخلّف في السيطرة على سلوكه وكلامه عمّن لم يسكر، أمّا السكر من أجل التخدير للعلاج فهو إثم بحق لهذا قال عنه: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. كذلك من يشرك بالله فقد اقترف إثماً عظيماً: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٤٨)، بمعنى أنّه رجع أشواطاً بعيدة عمّن لم يشرك به.

البغي

هو طلب شيء ما للحصول عليه. وهناك بغي بحقّ وبغي بغير حقّ. فهناك من يقدّم شيئاً تطوّعاً فيسمّى ابتغاءً كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة ٢٠٧). والبغي بحق هو أخذ الأشياء بموافقة أصحابها كأن تشتري شيئاً وتدفع ثمنه. أمّا البغي بغير حقّ فهو كلّ شيء يؤخذ من الغير بغير موافقته، وتحت هذا البند تندرج كلّ أنواع السرقة والاحتيال والابتزاز... وهو من المحرّمات: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ (الأعراف ٣٣).



النهي

النهي ظرفي وهو ضدّ الأمر. علما أنّ النواهي والأوامر الإلهية ظواهر ثابتة لكن التشريع فيها يخضع للاجتهاد الإنساني الظرفي لأنّ ظروفها ومعطياتها تتغيّر حسب تغيّر الزمان والمكان والمستوى المعرفي للمجتمعات. لهذا ترك الله مهمّة الاجتهاد فيها للسلطة التشريعية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠). فالنهي قد يأمر به الله كما جاء في آية النحل ٩٠، أو يأمر به النبي (ص) لقوله تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ (الحشر ٧)، أو قد تأمر به التشريعات الإنسانية. وهو لا يحمل صفة الإكراه، فإن حمل هذه الصفة يصبح منعاً، لأنّ الطبيب ينهى عن التدخين، أمّا السلطة فتمنع التدخين في الأماكن العامّة. وبناءً على ذلك فإنّ الدين يُحَرِّم ويَنْهَى ويَأمُر لكنه لا يَمنع لأنّه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ (البقرة ٢٥٦)، أما سلطة الدولة فتَنْهَى وتَأمُر وتَمنَع لكنّها لا تُحرِّم.

التبذير

هو تجاوز حدود الإنفاق في الوجوه المشروعة المباحة، مثاله رجل أوصى بـ ٩٠% من ثروته للجمعيات الخيرية. ورجل دعا ثلاثة من أصحابه إلى مأدبة فصنع لهم طعاماً يكفي ثلاثين. والتبذير لا يكون إلّا في الكمّ ضمن الحلال لقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء ٢٦).



الإسراف

هو الاشتطاط والإيغال في الخروج من الحلال إلى الحرام، ولا علاقة له بزيادة أو نقصان. فكثيره وقليله سواء. في الحلال نجد في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف ٣١). وفي الحرام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾ (الإسراء ٣٣)، فقتل القاتل حلال عن طريق تطبيق القانون (التشريع) وليس بالانتقام، أما قتل كلّ أسرته أو عشيرته فإسراف في ممارسة عقوبة وذلك محرّم. وقل مثل ذلك في الكفر بالله الذي يُعدّ إسرافاً: ﴿... وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس ٨٣)، وفي غيره من المحرّمات الأخرى كالغشّ في المواصفات وغيرها. والإسراف لا يكون إلّا في الكيف.

السيّئة

هو كلّ عمل يُلحق بالآخرين ضرراً، قلَّ أو كثُر. ولا تكون السيّئة بحق الله تعالى، فالله عزّ وجلّ لا يُحسن إليه ولا يُساء له لأنّه لا تنفعه ولا تضرّه أعمال الخلق لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الجاثية ١٥). ومثال السيّئة: السرقة والافتراء والتطفيف أو الإخسار في الكيل والميزان



لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى ٤٠). فالإساءة للآخر تكون بإلحاق الضرر به ومن يقترف السيّئة يكُن مذنباً.

الذنب

هو كلّ عمل غير صالح يرتكبه الإنسان باقتراف محرّمات الله عزّ وجلّ أو نواهيه أو عدم الامتثال لأوامره. إمّا بارتكابها بحق الله تعالى فقط كارتكاب بعض المحرّمات والنواهي التي ليس فيها إساءة للناس مثل: الشرك بالله، واقتراف الفواحش، وإمّا باقتراف عمل غير صالح بحقّ الله والناس معاً كارتكاب المحرّمات التي فيها إساءة للآخر كعقوق الوالدين والسرقة وشهادة الزور... ويتمّ إصلاح الذنب بطلب المغفرة، بينما يتمّ إصلاح السيّئة بالتكفير عنها لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران ١٩٣).

الابتلاء

هو نوع من الامتحان بنوعيه الإيجابي والسلبي، له وجود كقانون موضوعي سارٍ على كلّ أهل الأرض لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف ٧)، وقوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي



أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر ١٥-١٦). ومعنى أنّ الابتلاء قانون موضوعي أنّنا نلمسه في اختلاف الدخل بين الناس، لأنّه إذا تساوى الدخل بينهم كما يريد البعض عندها تموت كلّ الطموحات عند كلّ فرد ويصاب المجتمع ساعتها بالشلل، بينما نجد أنّ الابتلاء الشخصي محدّد الموضوع وخاصّ بالشخص نفسه، فقد ابتلى الله عزّ وجلّ إبراهيم بمجموعة من القوانين الموضوعيّة لفهمها، وقد نجح إبراهيم في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ (البقرة ١٢٤)، كما ابتلى محمّداً (ص) بالنبوّة والرسالة معاً وقد نجح فيهما. أمّا البلاء فهو الامتحان السلبيّ الجماعيّ كما حصل لقوم موسى مع فرعون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة ٤٩)، إذ نلاحظ هنا أنّ البلاء جاء بنحو جماعي ناتج عن ادّعاء فرعون الربوبية وتحويله بني إسرائيل إلى عبيد.

الفتنة

لا تكون الفتنة أساساً إلّا من قبل طرف قويّ على طرف أضعف منه. فقوله تعالى لموسى: ﴿... وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا...﴾ (طه ٤٠)، معناه أنّ موسى أصبح إنساناً قويّاً لا يقابله أحد في مواجهة مباشرة. والدولة الديكتاتورية عندما تعتقل إنساناً ما تختلف معه في الرأي فإنّما



لكي تفتنه عن آرائه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا...﴾ (البروج ١٠). كذلك يمكن لامرأة ما أن تفتن رجلاً بإغرائه بمفاتنها وجعله في موقف ضعيف أمامها وهي في موقف أقوى منه، فتطلب منه أموراً لا يقبلها عادة. وكذلك الأموال والأولاد فتنة لأنّ الإنسان يصبح ضعيفاً أمامهما. أمّا المناسبات التي استعمل فيها الفقهاء عبارة: (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) فذلك هراء لأنّهم عكسوا معنى الفتنة، لأنّه عندما يحتجّ الضعيف على القوي لا يُعدّ ذلك فتنة.

الظنّ

من أفعال الأضداد، ويعني الشك واليقين معاً، بحيث يفهم المعنى المقصود منه من خلال السياق العامّ للآية. أمّا معنى اليقين فقد جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ (الجنّ ١٢). ومعنى الشك جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات ١٢).

الإنزال

هو نقل الوحي من شكل غير قابل للإدراك الإنساني إلى شكل قابل للإدراك. وقد تمّ الإنزال دفعة واحدة بالنسبة للقرآن ما عدا القصص



المحمّدي لخصوصيته في الإنزال لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾ (البقرة ١٨٥). وكذلك كتاب الرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها) لم يحصل فيه الإنزال دفعة واحدة.

التنزيل

هو نقلة موضوعيّة للوحي خارج الوعي الإنساني، جرى فيها تنزيل ما تمّ إنزاله على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، بحيث جاء التنزيل للقرآن متفرّقاً بعد إنزاله الذي تمّ دفعة واحدة في شهر رمضان أي على مراحل. أمّا القصص المحمّدي فقد تلازم فيه الإنزال والتنزيل لخصوصيّته عن سائر القصص القرآني الآخر. وقد تلازم كذلك الإنزال والتنزيل للرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها) لأنّها من عند الله مباشرة.

الربوبيّة

هي أحد مقامين لا ثالث لهما للذات الإلهيّة، ويُسمّى مقامَ الربوبية لأنّ ربَّ الناس هو مالكهم وخالقهم ورازقهم شاؤوا أو أبوا كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ٢١) وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء ٣٠). والعلاقة التي بين الناس وربّهم من مقام الربوبيّة علاقة صارمة لا



خيار فيها لأنّها تخضع للقوانين الموضوعية للوجود. من هذا المقام جاء كتاب النبوّة (القرآن) بقوانينه الكونية والإنسانية للنبي (ص)، ومنه أيضاً جاءت بعض الأسماء الحسنى كالرزاق والمحيي والمميت، وأوّلها الرحمن. والربّ هو المخصّص للدعاء والسؤال لأنّه المالك.

الألوهيّة

هي المقام الثاني للذات الإلهيّة، ويسمّى مقام الألوهية. وإذا كان مقام الربوبية للخلق جميعاً، فإن مقام الألوهية خاصّ بالإنسان العاقل فقط لأنّ منه جاءت الرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها)، وفيه الطاعة والمعصية. ومنه أيضاً جاءت بعض الأسماء الحسنى كالغفور والغفّار والتواب.. وتنشأ علاقة الإنسان بالله عزّ وجلّ من هذا المقام لأنّها علاقة تقوم على الطاعة والمعصية أي على العبادة التي تكون لله عند الاعتراف بألوهيته من الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء ٢٥). فالله هو ربّ محمّد (ص) وربّ أبي لهب، ولكنّه إله محمّد (ص) وليس إله أبي لهب لأنّ أبا لهب لم يعترف بألوهيته.

الرحمن

هو أحد أسماء الربوبية وأهمّها. وهو من أسماء الأضداد، فهو الرحمن بمعنى الرؤوف الرحيم والجبّار في آن واحد. فأمّا بمعنى



الرؤوف الرحيم ففي قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ١٦٣)، وأمّا بمعنى الجبّار المنتقم ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم ٤٥). فاسم الجلالة الله هو عنوان الألوهية واسم الرحمن هو عنوان الربوبية، وهما معاً مناط الدعاء عند الإنسان لقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾ (الإسراء ١١٠).

العرش

جاء العرش في قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل ٢٦). والعرش هو أوامر الله ونواهيه لقوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (البروج ١٥-١٦)، فقد ربطت الآية بين العرش والفعل الإلهي من تحريم وأمر ونهي. ولا يحمل العرش معنىً مكانياً إطلاقاً لأنّ الله عزّ وجلّ خارج الزمان والمكان بل هو خالقهما وخالق كل شيء والمتصرّف فيهما بإرادته لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزخرف ٨٢).

الكرسيّ

بما أنّ العرش هو المحرّمات والأوامر والنواهي الإلهية، فإنّ الكرسي هو معلومات ربّ العالمين لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ



أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة ٢٥٥). والعرش مرتبط بالكرسيّ، إذ يأتي التحريم والأمر والنهي ضمن معلومات الآمر والناهي.

نفخ الصور

هو تسارع التغيّر في صيرورة النظام الكوني الذي يؤدّي إلى الانفجار الكوني المعلن عن نهاية هذا الوجود المادّي لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل ٨٧).

الساعة

هي ظاهرة انفجار الكون نتيجة تسارع التغيّر في صيرورته (النفخ في الصور)، وعلم لحظة حدوثها عند ربّ العالمين فقط لأنّها غير مبرمجة في اللوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (ق ٢٠).

الحقّ

هو الوجود الموضوعي بعالميه: عالم الشهادة وعالم الغيب. هذا الوجود بعالميه وُجد خارج الوعي الإنساني. مثال عالم الشهادة:



الشمس والقمر والرياح والجبال والقوانين الناظمة لها، ومثال عالم الغيب: الله واليوم الآخر، فالله حقّ لأن وجوده لا علاقة للوعي الإنساني به، والكون حق لأنّه قائم موجود سواء وعاه الإنسان أم لا. فأما بالنسبة لوجود الله الحق فنجده في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ (لقمان ٣٠)، وأما بالنسبة للوجود فنجده في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام ٧٣). وقد فرّقت النبوّة (القرآن) بين الحقّ والباطل في الوجود سواء الكوني أو التاريخي، بينما نجد الرسالة فرّقت بين "افعل" و"لا تفعل" في السلوك الإنساني الواعي (الذاتي).

الباطل

هو الوهم في التصوّر الإنساني وليس له أيّ وجود موضوعي لأنّه محض توهّم ناتج عن الاعتقادات والأفكار الإنسانية غير الموضوعية. فالاعتقاد بأنّ النجوم تضرّ وتنفع وأنّ الأحجار تضرّ وتنفع هو باطل، لأنّه وهم ولا نقول عنه إنّه خطأ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (لقمان ٣٠).

كلمات الله

هي الوجود الموضوعي للأشياء والظواهر خارج الوعي الإنساني. فالشمس والقمر هي كلمات الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي



رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف ١٥٨). وعيسى بن مريم أيضاً كلمة الله لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ (آل عمران ٤٥). والله يحقّ الحق بكلماته أي يجعله موجوداً في الحقيقة والواقع، بقوله للشيء: (كن فيكون) التي بها تتحوّل إرادة الله إلى واقع ملموس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس ٨٢)، وقوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء ٦٩).

العدم

هو الدالّ بدون المدلول، فالدالّ هو العدم والوجود هو المدلول، والله خلق الوجود من العدم، أي إنّ الوجود كان في علم الله دالّات بدون مدلولات ثم أوجده الله، تماماً مثلما خلق الإنسان من عدم كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم ٦٧). فالوجود هو كلمات الله وهو تطابق الدالّ مع المدلول. وكمال المعرفة عند الله هو كليّة التطابق بين كلّ احتمالات الدالّات مع المدلولات، لذا فإنّ الله عزّ وجلّ يرى بدون عين ويسمع بدون أذن. فالعين والأذن أدوات معرفة. وكامل المعرفة لا يحتاج إلى أدوات معرفة إطلاقاً. والرياضيّات البحتة هي التعبير الأمثل عن العدم، وبما أنّ علوم الرياضيّات البحتة متقدّمة على علوم الفيزياء



فهذا يؤكد أنّ العدم سبق الوجود وأنّ الوجود الكوني ليس أزلياً ولا أبدياً بل هو حديث.

القدر

هو الوجود الموضوعي للأشياء وظواهرها وقوانينها خارج الوعي الإنساني. هذا الوجود بظواهره وقوانينه مذكور في كتاب النبوّة (القرآن) لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس ٥)، وهو كلمات الله.

القضاء

هو ظاهرة تتعلق بالسلوك الإنساني الواعي (إرادة إنسانية)، وهو قائم على الحركة الواعية بين النفي أو الإثبات في أيّ قرار إرادي واع. لهذا فإن القضاء يتعلق بما جاء من أحكام في كتاب الرسالة (أمّ الكتّاب وتفصيلها) كما في قوله تعالى: ﴿) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (الإسراء ٢٣).

المشيئة

هي الحرّية، وهي إمكانية النفي والإثبات في مهمّة اتّخاذ القرارات الواعية في أشياء معلومة، أي هي تقاطع القضاء والقدر معاً في حياة



الإنسان. فالقضاء هو إمكانية النفي والإثبات والقدر هو الأشياء الموضوعية مع وجود علاقة بينهما هي المعرفة. وهناك ارتباط بين المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية لأنّ الله كامل المعرفة والإنسان معرفته نسبية لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الإنسان ٣٠). أمّا الإرادة فهي اتّخاذ قرار ما، والإرادة الإنسانية مرتبطة أيضاً بالإرادة الإلهية لأنّ إرادة الإنسان تدخل ضمن العلم الإلهي الاحتمالي لقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٢٧).

المشيئة (الحرّية) = القضاء + القدر (بعلاقة المعرفة)

العباد

هو جمع مفرد عبد، والعبد من أسماء الأضداد، لأنّه يُطلق على المطيع والعاصي معاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦). فالعبد العاصي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾ (الزمر ٥٣)، والعبد المطيع في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى ٢٣). فالعبد هو الذي يختار ويقرّر أفعاله بكلّ حرّية ودون إكراه. وعباد الله هم من يطيعونه ويعصونه



بملء إرادتهم، لأنّ عبادية الناس لله تُبنى على الاختيار أي الحرّية المسؤولة لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥). وجاء ذكر معنى المعصية في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف ٨١) أي أنا أوّل الكافرين به. وجاء استعمال المعنيين معاً (الطاعة والمعصية) في سورة "الكافرون":

١- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ==> الكفر موقف علني عدائي (الكفّار الذين اتّخذوا موقفاً عدائياً علنياً من الرسول ورسالته)

٢- لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ==> لا أؤمن بما تؤمنون به (لا أطيع ما تطيعون)

٣- وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ==> ولا أنتم تؤمنون بما أؤمن به (لا تطيعون ما أطيع)

٤- وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ==> ولا أنا كافر بما أنتم كافرون به (أنا أعصي من تعصون)

٥- وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ==> ولا أنتم كافرون بما أنا كافر به (لا تعصون ما أنا أعصيه)

٦- لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ==> لكم مبادؤكم ولي مبادئي

العبيد

هو جمع مفرد عبد مملوك، أي الرقيق. والعبد المملوك ليس له حرّية في اختيار أفعاله لأنّه لا يملك من أمره شيئاً ويكون مكرهاً في جميع أحواله لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ



عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ...﴾ (النحل ٧٥). فنحن عباد الله في الدنيا لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر ١٠)، لكننا عبيده يوم الحساب لأننا لا نملك من الأمر شيئاً يومها لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (ق ٢٨-٢٩). والعبوديّة لله في الحياة الدنيا غير مطلوبة بل المطلوب من عباده العبادية له، وإن وجدت العبودية في الحياة الدنيا فعلاً فإنّها تكون دائماً لغير الله حتماً.

البشر

هو كائن حيّ ينتمي إلى الفصيلة العليا من الكائنات الحيّة من الثدييات، وهو وجود بيولوجي صرف لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر ٢٨). من هنا جاءت تسمية كليّة الطبّ البشري لأنّها تَدْرُس الإنسان ككائن حيّ.

الإنسان

هو كائن بشري لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون ١٢)، تحوّل إلى كائن عاقل واعٍ بنفخ الروح فيه



لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر ٢٩). فاستحقّ بذلك أن يخلف الله في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة ٣٠). وحين يتجمّع أفراد الإنسان تتشكل المجتمعات الإنسانية، أمّا الحيوانات فتتجمّع في أسراب كالطيور أو في قطعان كالبهائم.

آدم

هو أبو الإنسان وليس والد البشر، وبه بدأ التاريخ الإنساني الواعي، أي إن الإنسان العاقل المتكلم ينتسب إلى سلالة آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء ٧٠).

الروح

هي المعرفة والتشريع المرتبطان بالإنسان. بدأت عند الإنسان بتعليمه الأسماء، كبداية للفكر الإنساني المبنيّ على عدم التناقض ثمّ الانتقال إلى التجريد. لذا سُمّي الوحي روحاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى ٥٢) لأنّه أوحى إليه المعرفة والتشريع. وبناءً على ذلك فإنّ البشر يمثل الوجود الموضوعي المادّي للإنسان، والمعرفة والتشريع يمثلان الوجود المدرك الواعي الإنساني للبشر، ويعبّر عنها باللغة، لأنّ اللغة هي حاملة الفكر:



إنسان = بشر (الموضوعي) + روح (الذاتي).

روح = (معرفة + تشريع) بحامل لغوي مبني على عدم التناقض.

النفس

من الناحية المادّية هي كلّ كائن حيّ يتنفّس ويحتاج إلى الأوكسجين، وهي النفس التي يصيبها الموت لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا...﴾ (آل عمران ١٤٥). ومن النّاحية البسيكولوجية هي مجموعة المعلومات والأحاسيس التي تشكل الأنا الإنسانية منذ الطفولة حتى الموت مع وجود التغيّر البيولوجي للخلايا، وهي النفس التي تُتوفى لقوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا...﴾ (الزمر ٤٢).

الفؤاد

هو الإدراك المشخص الناتج عن طريق الحواسّ مباشرة (perception) وعلى رأسها السمع والبصر لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء ٣٦). وهو ردّ الفعل الغريزي الموجود عند الحيوان والإنسان معاً مع فرق بينهما أنّ الفؤاد الغريزي الإنساني متطوّر عن الحيواني لأنّه يربط بين الاسم والمسمّى ويزيل التناقض بينهما، وهو بمثابة مقدّمة حسّية للفكر الإنساني لأنّه يمثل المادّة الخام التي تنطلق منها عملية التفكير المجرّد للإنسان. فالفؤاد هو بمثابة الصاعق "المحرّض"



للفكر الإنساني أي يمثل مرحلة الإقلاع له.

الفكر

هو عملية تحليل المدركات (المادة الخام) الآتية من الفؤاد لقوله تعالى: ﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران ١٩١)، وهو مرتبط بالعقل.

العقل

هو عملية الربط بين المدركات (المادة الخام) الآتية من الفؤاد بعد أن يكون الفكر قد قام بتحليلها، وذلك لاستخلاص نتائج منها بعد تحليلها. فالآيات التي ذُكرت فيها الظواهر المرتبط بعضها ببعض جاء فيها قوله تعالى: "تعقلون" أو "يعقلون"، مثل قوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الجاثية ٥)، فاختلاف الليل والنهار يشير إلى الفصول الأربعة وهي مرتبطة بما بعدها لأنّ فيها تتغيّر الأمطار والرياح، وهذه الظواهر الثلاث مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عقلانياً، لهذا قال تعالى في نهاية الآية (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).



القلب

هو آلة العقل، وهو جزء الدماغ الذي يقلّب الأشياء بتحليلها والربط بينها ليصل إلى نتائج (يعقلها). وليس في كلّ آيات التنزيل الحكيم ما يشير إلى العضلة القلبية التي تضخّ الدم في أنحاء الجسم. وقد ربط عزّ وجلّ بين القلب والعقل في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر ١٤)، لأنّ العقل من وظائف الدماغ.

القلم

هو تمييز الأشكال بصفاتها بعضها من بعض والتعرّف إليها، أي هو عملية "التقليم" (Identification) لقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم ١)، فالعين تقلّم الأشكال والألوان، والأذن تقلّم الأصوات، واللسان يقلّم الطعوم. والقلم هو وسيلة اكتساب المخلوقات كلها للمعارف سواء العاقل منها أو غير العاقل بما فيها الملائكة. والمعرفة الإنسانية خط صاعد إلى الأعلى ومحوره القلم (التمييز)، لا تخرج عنه إطلاقاً لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ٣-٥).

السطر

هو التصنيف (Classification) لقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾



(القلم ١)، أي جمع الأشياء بعد تصنيفها في مجموعات في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ (القمر ٥٣). مثاله تصنيف الحيوانات البرّية: الثدييّات والزواحف...

الشيطان

له معنيان، الأوّل: شيطان الوهم، وهو الجانب الآخر في العملية الفكرية للإنسان لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (الحج ٣)، وكلّ إنسان له شيطانه وهو القرين الذي يحاول أن يوقعه في الخطأ والوهم لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق ٢٦-٢٧). والثاني: شيطان الأخلاق وهو الذي يحاول أن يوقع الناس في الحرام ويقعد لهم على الصراط المستقيم (الفرقان) لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف ١٦).

الموت

دورة الحياة في الطبيعة، وتُبنى هذه الدورة على ظاهرة التعاقب بين الموت والحياة. فالموت فيها يتعاقب مع الحياة لأنّه رديف لها. والموت هو ظاهرة الانتقال من حالة إلى حالة، فبالنسبة لأشياء الطبيعة لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم ١٩)، وبالنسبة



للإنسان لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٨).

الهلاك

ظاهرة إنسانية أحادية الاتجاه، أي ليس فيها تعاقب. فهلاك الإنسان هو انقطاع أثره لعدم وجود أصول له ولا فروع لقوله تعالى: ﴿... قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ...﴾ (النساء ١٧٦). وهلاك الأمم والحضارات يعني اندثارها دون رجعة لقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء ٩٥). فالحضارات والأمم تهلك ولا تموت مثال: الحضارة الإمبراطورية، والرومانية، والخلافة الإسلامية، ثمّ الاتحاد السوفياتي؛ فكلها هلكت دون رجعة لقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم ٩٨).

الأمّة

هي المجموعة من المخلوقات، عاقلة أو غير عاقلة، يجمعها سلوك موحّد لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ..﴾ (الأنعام ٣٨). هذا السلوك يختلف من أمّة إلى أخرى، فأمّا أمم الحيوانات فسلوكياتها غريزية، بينما الأمم العاقلة سلوكياتها مرتبطة بالثقافة والتوجّه الديني. وقد تغيّرت مع التطوّر التاريخي، سلوكيات الناس في التجمّعات الإنسانية، بتطوّر



(القلم ١)، أي جمع الأشياء بعد تصنيفها في مجموعات في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ (القمر ٥٣). مثاله تصنيف الحيوانات البرّية: الثدييّات والزواحف...

الشيطان

له معنيان، الأوّل: شيطان الوهم، وهو الجانب الآخر في العملية الفكرية للإنسان لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (الحج ٣)، وكلّ إنسان له شيطانه وهو القرين الذي يحاول أن يوقعه في الخطأ والوهم لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق ٢٦-٢٧). والثاني: شيطان الأخلاق وهو الذي يحاول أن يوقع الناس في الحرام ويقعد لهم على الصراط المستقيم (الفرقان) لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف ١٦).

الموت

دورة الحياة في الطبيعة، وتُبنى هذه الدورة على ظاهرة التعاقب بين الموت والحياة. فالموت فيها يتعاقب مع الحياة لأنّه رديف لها. والموت هو ظاهرة الانتقال من حالة إلى حالة، فبالنسبة لأشياء الطبيعة لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم ١٩)، وبالنسبة



للإنسان لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٨).

الهلاك

ظاهرة إنسانية أحادية الاتجاه، أي ليس فيها تعاقب. فهلاك الإنسان هو انقطاع أثره لعدم وجود أصول له ولا فروع لقوله تعالى: ﴿... قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ...﴾ (النساء ١٧٦). وهلاك الأمم والحضارات يعني اندثارها دون رجعة لقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء ٩٥). فالحضارات والأمم تهلك ولا تموت مثال: الحضارة الإمبراطورية، والرومانية، والخلافة الإسلامية، ثمّ الاتحاد السوفياتي؛ فكلها هلكت دون رجعة لقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم ٩٨).

الأمّة

هي المجموعة من المخلوقات، عاقلة أو غير عاقلة، يجمعها سلوك موحّد لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ..﴾ (الأنعام ٣٨). هذا السلوك يختلف من أمّة إلى أخرى، فأمّا أمم الحيوانات فسلوكياتها غريزية، بينما الأمم العاقلة سلوكياتها مرتبطة بالثقافة والتوجّه الديني. وقد تغيّرت مع التطوّر التاريخي، سلوكيات الناس في التجمّعات الإنسانية، بتطوّر



المعارف والشرائع والعادات، مثالها الأمّة المحمّدية التي تجمع أفرادها الشعائر (الصلوات الخمس، صوم رمضان...) بحيث سمّاهم التنزيل الحكيم "المؤمنون".

القومية

هي علاقة ارتباطية تجمع بين مجموعة عاقلة من الناس يكون لهم لغة واحدة ولسان واحد، الأمر الذي يخلق تجانساً في ما بينهم في طريقة التفكير. مثالها: العرب يتكلمون العربية، وبنو إسرائيل يتكلمون العبرية، والفرنسيون يتكلمون الفرنسية... ولا أفضلية في الوجود لأيّ قومية على أخرى، لكنّ الأفضلية تأتي من مميزات أخرى تكتسبها قومية ما عن جدارة واستحقاق، وبجهد أفرادها وسعيهم، لا بمجرّد أنّهم عرب أو يهود أو فرنسيون أو أتراك أو... والعروبة هي الانتماء الواعي إلى القومية العربية والتعصّب الإيجابي لهذا الانتماء، وليست ذات نظرة عرقية، بل هي نظرة إنسانية صرفة، والتعصّب الإيجابي لها يتطلب من العرب الجدّ والسعي والمشاركة الفعّالة في صنع الحضارة الإنسانية مع بقية القوميات.

الشعب

هو مجموعة عاقلة من الناس يجمعها نظام اقتصادي وقانوني واحد على بقعة من الأرض تسمّى الوطن، والفرد فيها يسمّى "مواطن". قد يتألف الشعب أحياناً من أمم متعدّدة ذات ملل مختلفة (مؤمنون، نصارى،



يهود، بوذيون...) وقوميات مختلفة (عرب، يهود، كرد، إنجليز...) يعيشون في وطن واحد تحت نظام دولة واحدة. ومفهوم الشعب أعمّ من مفهومي الأمة والقومية، فقد تجد في شعب واحد أمماً متعدّدة كأمّة محمّد (ص) وأمّة عيسى وأمّة موسى...وفيه قوميات متعدّدة لكلّ قومية لغتها الخاصّة. وبالتالي تصبح العلاقة بين الأمم والقوميات والشعوب علاقة مبنية على التعارف لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣).

الولاء والبراء

الولاء من ألفاظ الأضداد، بمعنى إمّا الاتباع أو الإعراض. أمّا البراء فهو الإعراض فقط. وكلاهما علاقة إنسانية اجتماعية، تبدأ عند الفرد فكراً نظرياً ثمّ تصبح سلوكاً عملياً. أما بالنسبة للولاء فنجده في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ (البقرة ١٤٨). وبالنسبة للبراء فنجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف ٢٦)، والولاء والبراء أنواع:

١ – الولاء والبراء في الإسلام:

– الولاء: اتّباع التوحيد والحاكمية الإلهية في المحرّمات بالدفاع عن القيم الإنسانية والحنيفية

ورفض الإكراه.

– البراء: التبرّؤ من الشرك ومن الإجرام بحق الله وحق المجتمع وخصوصاً الطغيان ومن



العداء للإنسان.

٢- الولاء والبراء في الإيمان:

- الولاء: اتّباع شعائر الملّة المحمّدية بمشاركة أتباع محمّد (ص) فيها.

- البراء: التبرّؤ من المعتدين على الملة المحمّدية بالسبّ والشتم بالردّ عليهم حسب أسلوبهم.

٣- الولاء والبراء في القومية:

- الولاء: أن يدافع عن لغته وعدم التعرّض للغات الآخرين.

- البراء: لا يوجد براء في القومية.

٤- الولاء والبراء في الشعب:

- الولاء: احترام للقانون والعلاقة القانونية والإنسانية مع كلّ المواطنين والدفاع عن الوطن

(الديار).

- البراء: التبرّؤ من مخالفة القانون ومن أعداء الوطن.

الوالد والوالدة

الوالد هو صاحب الحيوان المنوي (Biological Father)، وقد يكون هو الأب المربّي وقد لا يكون. والوالدة هي صاحبة البويضة وقد تكون هي الأمّ المربّية وقد لا تكون (Biological Mother) لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ١٤). والذي يحدد الوالد والوالدة هو فحص الحمض النووي DNA.



الأب والأم

الأب هو من يقوم على رعاية الولد ويربّيه. وقد يكون والداً وقد لا يكون، لكن في الحالتين له الحرمة والبرّ والإرث والنسب. فالإنسان قد يكون له والد واحد هو الأب نفسه، وقد يكون له والد واحد وأب واحد أو أكثر غير الوالد. والأمّ هي من ترعى الولد وتربّيه، وقد تكون هي صاحبة البويضة الأولى وقد لا تكون، أي قد تكون الأم هي الوالدة وقد لا تكون، فهناك الأم الوالدة والأم الحاضنة والأم المرضعة والأم المربّية، وهناك أمّ المؤمنين، وكلّ هؤلاء الأمّهات لهنّ حرمة. لكن هناك أمّ واحدة لها الحرمة والإرث والبرّ وهي التي دخلت في وعي الطفل على أنّها أمّه لأنّها بدأت بتربيته بعد ولاته مباشرة سواء منها هي أو من غيرها. فالوالدان مفهوم بشري بيولوجي بحت، أمّا الأبوان فمفهوم إنساني اجتماعي. والنسب للأب والأمّ لا للوالد والوالدة.

الفتى – الفتاة

هو الإنسان المرتبط حياتياً بشخص آخر. من هنا جاء مفهوم الفتوى لأن الفتوى مرتبطة بصاحبها كأن نقول: (فتوى فلان). والله عزّ وجلّ أيضاً يفتي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ...﴾ (النساء ١٧٦). من هنا نفهم معنى فتى موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ...﴾ (الكهف ٦٠). كما يذكر التاريخ يوشع بن نون الذي كان يلازم موسى دائماً، ويوسف فتى العزيز وزوجته كانت حياته متعلقة ببيت العزيز لذا قال تعالى: ﴿... امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا...﴾



(يوسف ٣٠). وكذلك قوله: ﴿... وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ (النور ٣٣) أي إنّ العمر لا علاقة له بذلك، فالفتاة كما جاء في الآية هي المرأة المرتبطة حياتياً بشخص آخر.

الحجاب

الحجاب له معنى مكاني بحت في التنزيل الحكيم. هو عبارة عن ساتر لحجب من يقف وراءه عن الرؤية كما قال عن مريم في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم ١٧). ولا علاقة للحجاب باللباس.

الجيوب

هي عبارة عن طبقتين قد يكون بينهما شيء ما، فمن هنا جاء جيب القميص مثلاً. جاءت في قوله تعالى: ﴿... وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...﴾ (النور ٣١). والجيوب المذكورة هنا هي الموجودة في خلقة الإنسان ومنها ظاهرة ومنها مخفيّة. أمّا الظاهرة فهي الموجودة في الوجه (الفم، الأنف، العينان، الأذنان)، وجمال الوجه أساساً يكمن في الجيوب من حيث وضعها وحجمها ولونها وتناسبها. أمّا المخفيّة فهي الموجودة في باقي جسد المرأة وهي: الفرج والإليتان وتحت الإبطين وفتحة الصدر، وهذه الجيوب هي التي تُعدّ من خصوصيات المرأة. لذا ذكر في الآية ما يخص المرأة من الزينة المخفيّة فقط، وحدّد لمن يمكن مشاهدتها.



الميثاق

هو مجموعة بنود يلتزم الإنسان بها. وقد وضّح لنا التنزيل الحكيم بنود ميثاق بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة ٨٣). فميثاق الزوجية مثلاً يلزم به الزوج نفسه طوعاً ومدى الحياة، وبالمقابل تعطيه الزوجة الطاعة والعصمة كذلك طوعاً ومدى الحياة لأنّ الميثاق تعهّد من طرف واحد. وكلّ أنواع القسم المهنية عبارة عن مواثيق في شتى المجالات: الطبّ، الجيش، الوزارات...

العهد

هو التعهّد بالالتزام ببنود ميثاق ما. ويأتي العهد بعد الميثاق. وسُمّي عهداً لأنه ممّا يجب الحفاظ عليه لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس ٦٠)، وهو ما يلزم الإنسان نفسه به، أي التزام الإنسان الطوعي بأمر ما. وهو ما يُعرف في المفهوم المعاصر بالقسم بالالتزام بميثاق ما كالقسم المهني أو العسكري أو السياسي، ولا يكون إلا علناً كما في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ٧٦).

العقد

هو اتفاق بين طرفين بكلّ طواعية على أمر ما. وأنواع العقود كثيرة. وأيّ عقد عبارة عن تكليف بين طرفين أو أطراف، لأنّه يرتبط بشروط يتّفق عليها الطرفان أو الأطراف المتعاقدة التي يجب على كل طرف الوفاء بها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ (المائدة ١). مثال العقد الدستور الذي يُعدّ أعلى عقد في المجتمع ويكون بين السلطة والشعب.

ميثاق الزوجية

هو علاقة صهر ونسب بين رجل بالغ عاقل وامرأة بالغة عاقلة، غايتها إقامة أسرة وحياة مشتركة مدى الحياة وإنجاب ذرّية، وقوام هذه العلاقة الإيجاب والقبول والعزم على الاستمرار. ولهما أن يفترقا بالطلاق بعد الزواج ضمن شروط صعبة بيَّنَها تعالى تضمن حقّ المرأة كاملاً. وهذا الميثاق يعطيه الزوج فقط وهو أن يرعاها في السرّاء والضرّاء والصحّة والمرض والصبا والشيخوخة، وأن يحافظ على مالها وعدم إهانتها. وفي المقابل هي تعطيه الطاعة بالمعروف والعصمة والوفاء. وهذا الميثاق لا يكون إلّا علناً بحضور أهل الزوج والزوجة وأكبر عدد من الناس.

الشهيد

الشهيد مفرد جمعه شهداء. وهو سامع الحدث ومبصره وحاضره،



فمن يحضر ويسمع عقد بيع بين متبايعين هو شهيد وليس شاهداً لقوله تعالى: ﴿... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا...﴾ (البقرة ٢٨٢). فشهداء بدر هم من حضروا بدراً، الذين قُتلوا منهم والذين بقوا أحياءً بعد المعركة من المؤمنين والمشركين على السواء. والله شهيد على عباده لقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء ٩٦). والصحافيون كلهم شهداء لأنهم يحضرون الحدث وينقلونه لنا، سواء من مات منهم وهو يؤدّي عمله أو من بقي حياً. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ١٦٩)، لا علاقة له مطلقاً بالشهادة ولا بالشهداء كما يتوهّم كثيرون.

الشاهد

الشاهد مفرد جمعه شاهدون. وهو من علم ودرى بالخبر من دون حضور، ثمّ حلله واستنتج منه نتائج بفضل خبراته. فالصحافيون كما قلنا شهداء، أمّا الذين يشاهدون التلفزيون ويسمعون الخبر فهم شاهدون. ولا بدّ لوجود الشاهدين من أن يسبقه وجود الشهداء، مثاله قوله تعالى: ﴿.. وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (يوسف ٢٦)، والمحاكم كلها تقوم على الشهيد الحاضر والشاهد الخبير.



الناس

المسلمون
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً
المصلون: يحافظون على صلتهم بالله

المجرمون
المكذبون بالله واليوم الآخر والقاطعون صلتهم بالله
بترك العمل بالقيم الإنسانية ودعوتهم لأفكار وأعمال
غير إنسانية (إجرامية)

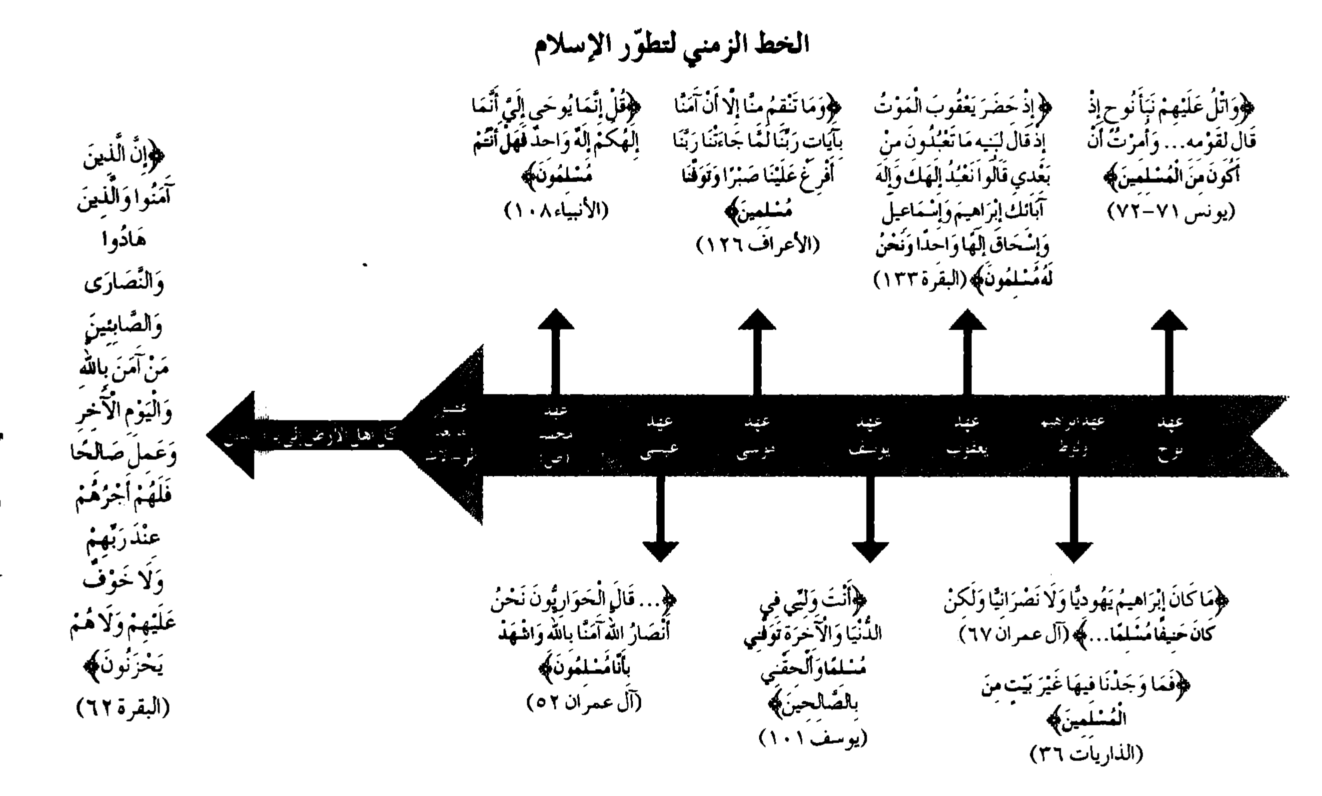
الذين آمنوا
المسلمون المؤمنون
هم أتباع محمد (ص)
وهم مقيمو الصلاة
(الشعيرة)

الذين هادوا
المسلمون الذين هادوا
هم أتباع موسى

النصارى
المسلمون النصارى
هم أتباع عيسى

الصابئون
المسلمون الصابئون هم
كل من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحاً من
أتباع الملل الدينية الأخرى




الخط الزمني لتطوّر الإسلام
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ... وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس ٧١-٧٢)
﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٣)
﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف ١٢٦)
﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الأنبياء ١٠٨)
عهد نوح
عهد إبراهيم ولوط
عهد يعقوب
عهد يوسف
عهد موسى
عهد عيسى
عهد محمد (ص)
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا...﴾ (آل عمران ٦٧)
﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات ٣٦)
﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف ١٠١)
﴿... قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢)
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢)

خط تطوّر التشريع في الإسلام

عصور ما قبل الرسالة المحمّدية

كانت التشريعات فيها حدية قاسية بما في ذلك شريعتا موسى وعيسى. وقد نسخت شريعة موسى بعض ما كان قبلها من الشرائع كما نسخت شريعة عيسى بعض أحكام شريعة موسى. ووصف الله هذه الشرائع بالإصر والأغلال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ..﴾ (الأعراف ١٥٧). كلها كانت شرائع غير حنيفية.

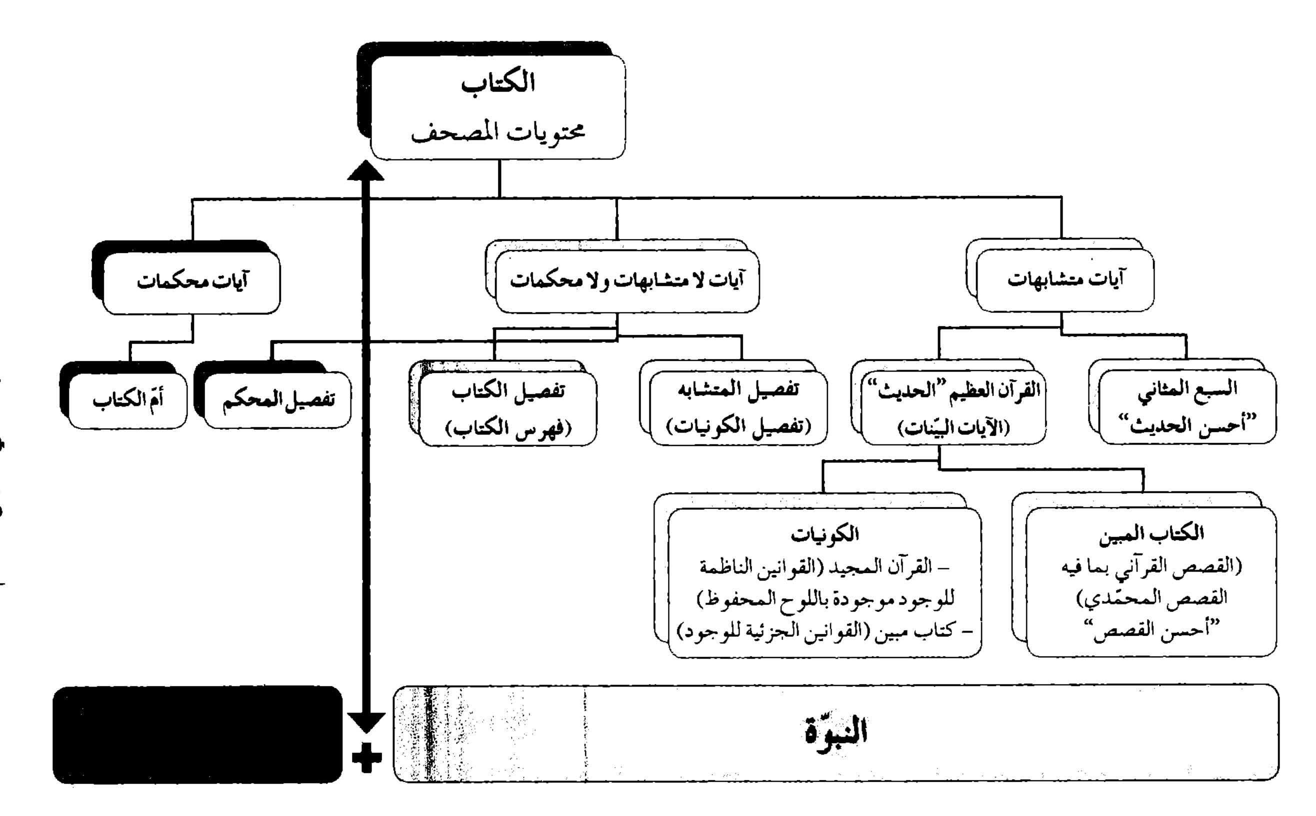
الرسالة المحمّدية

جاءت الرسالة المحمّدية عالمية وتتسم بالرحمة. خُتمت فيها المحرّمات وعددها ١٤. وقد نسخت ما جاء قبلها من الشرائع الحدّية القاسية. وقد جاءت حنيفية لأنها رسالة حدودية (نظرية الحدود)، ولأنها جاءت على شكل محكم وتفصيله بحيث يتم الاجتهاد في تفصيل المحكم من جهة ووفق نظرية الحدود من جهة أخرى، وبذلك فتحت مجال التشريع الإنساني على ضوئها. فالرسول (ص) جاء مبلّغاً للرسالة الإلهية الخاتمة من جهة: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ..﴾ (المائدة ٩٩)، وجاء مجتهداً من جهة أخرى ضمن حدودها وفي تفصيل المحكم كقائد أعلى لمجتمعه: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر ٧). فقد ختم الرسول (ص) الأنبياء والرسل بالبلاغ وبدأ بالتشريع الإنساني، وبذلك فإن مرحلته (ص) تمثّل المرحلة الانتقالية من التشريع الإلهي إلى التشريع الإنساني، لأنه في هذه المرحلة جاءت نهاية التشريع الإلهي بالبلاغ وبداية التشريع الإنساني بتنظيم الحلال في المجتمع المدني. لذا فإن تشريعه جاء لمجتمعه كاجتهاد إنساني من عنده وليس وحياً، لتقييد الحلال وإطلاقه، ولم يحرّم أبداً لأن التحريم من حق الله حصراً. ويُعدّ تشريعه أوّل التشريعات الإنسانية الواجب نسخها، لأن التشريعات الإنسانية ينسخ بعضها بعضاً مع تقدّم الزمن وتطوّر المجتمعات.

عصور [illegible] الرسالة المحمّدية

تمتاز بال[illegible] الإنساني على ضو[illegible] الرسالة [illegible] بالاجتهاد ضمن حدودها [illegible] تفصيل المحكم، والاجتهادات [illegible]سانية ينسخ بعض[illegible] بعضاً حس[illegible] مستوى المجتمعات واحتياجاته[illegible] اجتهادات في [illegible] الحلال و[illegible] فقط لأنه لا اجت[illegible] في المحر[illegible]ها إلهية حصرية [illegible] ختمها [illegible] المحمدية بـ ١٤ محرّماً. و[illegible] التشريع الإنساني [illegible] للبرلمانات [illegible] التشريعية في [illegible] مجت[illegible] ولو الأمر).




الكتاب
محتويات المصحف
آيات محكمات
آيات لا متشابهات ولا محكمات
آيات متشابهات
أمّ الكتاب
تفصيل المحكم
تفصيل الكتاب
(فهرس الكتاب)
تفصيل المتشابه
(تفصيل الكونيات)
القرآن العظيم "الحديث"
(الآيات البيّنات)
السبع المثاني
"أحسن الحديث"
الكونيات
- القرآن المجيد (القوانين الناظمة للوجود موجودة باللوح المحفوظ)
- كتاب مبين (القوانين الجزئية للوجود)
الكتاب المبين
(القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي)
"أحسن القصص"
النبوّة

يشرح الدكتور محمّد شحرور أكثر من ثمانين مفردة قرآنيّة في معناها الاصطلاحي كما استخدمها في مؤلّفاته السابقة التي تمثّل مشروعه المعرفي، وهو شرح اتّسم بالدقة والعلميّة، وركّز على الفارق في المعنى الذي أهّلها لأن تكون حاملةً لمنهجه.

هذا الكتاب هو دليل للقارئ إذا أشكل عليه فهم أيّ فكرة أو عبارة في مؤلّفات شحرور... فيه يحدّد المؤلّف منهجه على المستويين اللغوي والفكري، ويعرّف النظام المعرفي الذي اتّبعه، والأوّليات اللازمة لدراسة النصّ الديني.

د. محمّد شحرور باحث ومفكّر سوري. حائز دكتوراه في الهندسة المدنية. بدأ بدراسة القرآن عام 1970، ويُعدّ اليوم مرجعاً أساسياً في العلوم القرآنية بعدما أوجد نهجاً جديداً وعلمياً لفهمها. من إصداراته عن دار الساقي ‘الدين والسلطة’، ‘الكتاب والقرآن’، ‘أمّ الكتاب وتفصيلها’، ‘فقه المرأة’.





www.daralsaqi.com